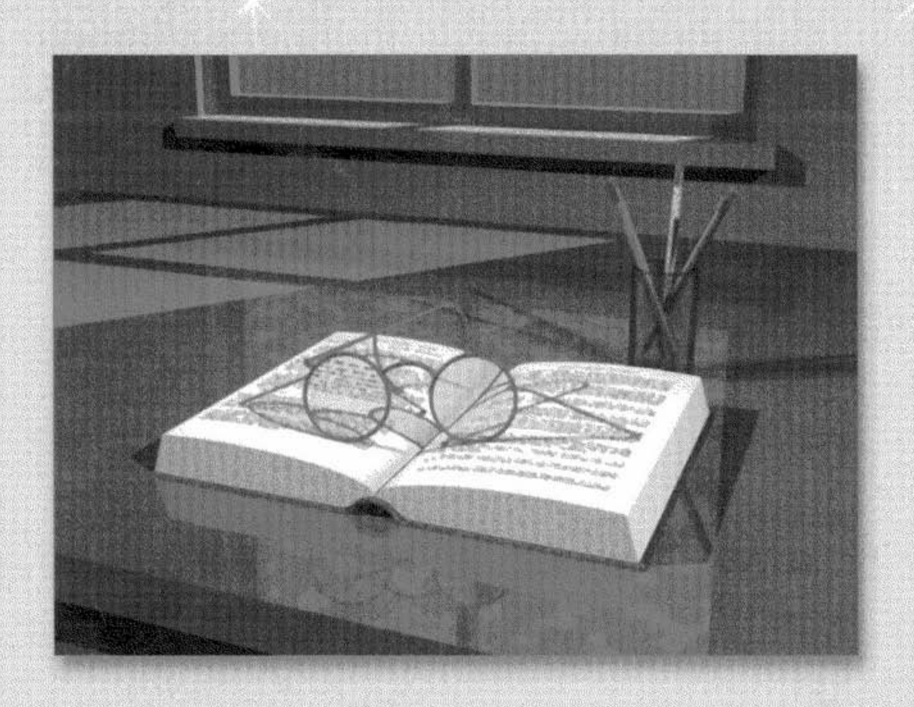


غَازِي بن عبد الرحمن القصيبي

استراحة الخميس



مكتبة العبيكان

غَازِي بن عَبْدالرَّحمن القُصَيْبِي



مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان ، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القصيبي، غازي

استراحة الخميس. - الرياض

١٦٦ص ، ١٧ × ٢٤سم

ردمك: ٩-٦٧٦-٢٠-٩٩٦٠

١-الأدب العربي - مجموعات ٢- المقالات العربية - السعودية

أ- العنوان

ديوي ٠٩٥٣١ ، ٨١٨ ٢١/١٢٨٣

ردمك: ٩-٦٧٦-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع : ٢١/١٢٨٣

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

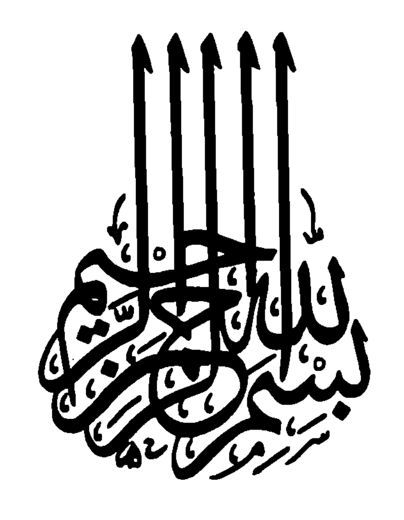
الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس ٤٦٥٠١٢٩



الإهداء

إلى سالم الدوسري ..

عقاباً له .. وردعاً لأمثاله

إنذار

لا بُدّ لي من أن أنذر كلّ من يصل إلى هذه الصفحة من الكتاب أنه مقبل على صفحات معابثة خالية من الأدب الجاد أو الفكر العميق.

كتبت ما كتبت هنا لسببين: الترويح عن نفسي. والترويح عن الآخرين. وإذا تسربت فكرة جادة عميقة إلى هذه الكتابات فلا شكّ أنها تسربت دون علم الكاتب.

ومعظم هذه المقالات سبق أن نشرت في زاوية الوطن الموسومة بـ «استراحة الخميس»، ومن هنا سمحت لنفسي أن أستعير اسم الزاوية لهذا الكتاب.

بقي أن أقول: إن عدداً كبيراً من المقالات ولد بعد وسوسة نشطة من الصحفي النشط الأستاذ سالم الدوسري مدير مكتب الوطن في لندن - فكان من العدل مجازاته بإهداء المجموعة إليه.

أسئلة.. وأجوبة في عصر السرعة[1]

س- مَنْ أنت؟

ج - لولا معرفتك بي لم تكن مخاطبتك إيايّ.

س- هل أنت عاطفي أم واقعي؟

ج - ألبس لكل حالة لبوسها.. قدر الإمكان.

س- هل الوصول إليك صعب أم سهل؟

ج - يعتمد على نيّة الراغب في الوصول.

س- هل أنت مع أو ضد الروتين؟

ج - مع الخفيف وضد الثقيل.

س- أتؤمن بسياسة الباب المفتوح .. أو عن طريق السكرتيرة؟

ج - والحارس والحاجب.

س- هل أنت رجل مزاجي؟

ج - أحياناً.

س- متى تغضب؟

ج - عندما أُستثار.

س- أأنت عنيد أم مسالم؟

ج - مسالم عنيد.

س- أين الطيبة منك؟

ج - قاب قوسين.. أو أدنى.

س- ما هي مميزات موقعك الحالي؟

(١) أعد الأسئلة الأستاذ/ سالم الدوسري ونشرت في الوطن (١٩٩٤م).

ج - الطعام المجاني.

س- وماذا عن مساوئه؟

ج - الطعام المجاني.

س- في الصباح ما هي الجريدة التي تقرأها؟

ج - أقرأ كل يوم أكثر من عشر جرائد.

س- أخطر قرار اتخذته في حياتك؟

ج - الزواج.

س- وقرار ندمت عليه؟

ج - أني تأخرت قليلاً قبل اتخاذه.

س- ما هي محطتك التلفزيونية المفضلة؟

ج - لا أرى التلفزيون .. إلا نادراً.

س- لمن تقرأ؟

ج - لمن لا أقرأ؟

س- ولمن لا تقرأ؟

ج - راجع ما قبله.

س- شخصية تاريخية تعجبك؟

ج - عمر بن عبدالعزيز.

س- وأخرى سياسية معاصرة؟

ج - عبدالعزيز بن سعود.

س- شاعر يعجبك.

ج - المتنبي.

س- وشاعر ترفضه.

ج - ولِمَ الرفض؟! الدنيا واسعة.

س- بيت شعر تردده؟

ج - أردد الكثير من الأبيات.

س- من يضحكك؟

ج - مَنْ جهلتْ نفسهُ قدرَه.

س- ومَنْ يبكيك؟

ج - هذه مهمة صعبة بعض الشيء.

س- شخصية نسائية تعجبك؟

ج - الطّباخة.

س- وأخرى ترفضها؟

ج - الثرثارة.

س- ماذا يؤلمك؟

ج - ما يؤلم بقية البشر.. والحيوانات.

س- هل لك أعداء؟

ج - لا يتجاوزون الآلاف!

س- هل مررت بتجربة حب فاشلة؟

ج - أيام الجاهلية.

س- بلد تتردد عليه دائماً؟

ج - البحرين.

س- وبلد حرمت زيارتها مرة أخرى؟

ج - لم أحظَ بحرمان كهذا.

س- مَنْ هو مطربك المفضل؟

ج - عبدالوهاب (في القصائد).

س- ومطربتك المفضلة؟

ج - فيروز (في القصائد).

س- وزير خارجية يعجبك؟

ج - وزير خارجية جزر القمر.

س- كيف ترى الصحافة العربية؟

ج - كما تكونوا تكن صحافتكم.

س- وماذا عن الصحف الأجنبية؟

ج - كما تكونوا .. تكن صحافتكم.. وأسوأ.

س- ممثل عربي تحترمه؟

ج - عبد الوارث عسر.

س- وآخر أجنبي؟

ج - أنطوني كوين.

س- مَنْ هي ممثلتك المفضلة؟

ج - فردوس محمد.

س- فيلم ما زلت تذكره وتشاهده؟

ج - «حول العالم في ثمانين يوماً».

س- مسرحيتك المفضلة؟

ج - (أهمية كونك أرنست) - لأوسكار وايلد.

س- ناديك الرياضي المفضل؟

ج - الترسانة.

س- لو لم تكن في موقعك الحالي.. ماذا تحب أن تكون؟

ج - أميناً لدار كتب.

س- آخر شيك متى حررته؟

ج - قبل ساعتين.

س- وكم كان رقمه؟

ج -١٩٧ جنيهاً إسترلينياً.

س- ولمن؟

ج - لدار فحوص طبية (الفحوص ممتازة.. بالمناسبة).

س- أحسن خبر سمعته؟

ج - مولد ابنتي يارا.

س- وآخر أزعجك؟

ج - زيارة الرئيس السادات لإسرائيل.

س- حكمة تؤمن بها؟

ج - عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.

س- آخر مرة ذهبت فيها إلى الطبيب؟

ج - قبل أسبوع.

س- والسبب؟

ج - الأنفلونزا.

س- هل أنت في منزلك جنرال أم عسكري؟

ج - مجرد شاويش.

س- ما هي مواصفات خطيب ابنتك؟

ج - ابنتي تزوجت.

س- هل ستكون بيروقراطياً أم ديموقراطياً معه؟

ج - ديموقراطي جداً.

س- هل أنت تقليدي أم مودرن؟

ج - **أنا مودرن.. رجعي.**

س- كيف ترى القنوات العربية الفضائية؟

ج - **لا أراها.**

س- مَنْ هو مذيعك المفضل؟

ج - **سليمان العيسى.**

س- وكيف ترى لاري كنج؟

ج - **أراه.. نادراً.**

س- كم نسبة التفاؤل لديك؟

ج - **تعتمد على الموضوع.**

س- والتشاؤم؟

ج - **تعتمد على الموضوع أيضاً.**

س- كيف تتعامل مع مرؤوسيك؟

ج - **بدكتوقراطية.**

س- هل خصمت أو وجهت إنذاراً لأحدهم؟

ج - **نعم.**

س- كم شخصاً فصلت من وظائفهم؟

ج - **لا يتجاوزون أصابع اليدين.**

س- هل من الممكن أن تساعد شخصاً لا تعرفه؟

ج - **من الممكن.**

س- كم مرة فعلت خيراً ورميته في البحر؟

ج - **سَلِ البحر.**

س- ما هي طموحاتك؟

ج - أن يغفر الله لي ذنوبي.

س- رغبة شخصية لم تتحقق بعد؟

ج - كل رغباتي الشخصية تحققت بفضل الله.

س- كيف ترى الوضع العربي الآن؟

ج - كما تراه أنت.. من أسوأ إلى الأسوأ.

س- هل أنت من أنصار تولي المرأة لرئاسة الحكومة؟

ج - يكفيني رئيسة واحدة في منزلي.

س- لو كان رئيسك في العمل امرأة.. ماذا ستفعل؟

ج - هذا السؤال نظري.. جداً!

س- هل من الممكن أن تستقيل؟

ج - ومن الممكن أن أبقى.

س- ما هو دور المرأة في حياتك؟

ج - أساسي.

س- هل أنت سخي معها مادياً؟

ج - في اعتقادي على أي حال.

س- هل ضربت أحداً في حياتك؟

ج - أولادي... قبل سن الثامنة.

س- هل كنت متفوقاً في المدرسة؟

ج - كنت شبه متفوق.

س- هل سبق لمُدَرِّس أن ضربك عقاباً لك على إهمالك؟

ج - أكثر من عشرين مرة.

س- أثناء المرحلة المتوسطة والثانوية.. هل كنت متفوقاً في اللغة الإنجليزية؟

ج - كنت فوق المتوسط.

س- هل تتعامل مع أولادك كما كان يعاملك والدك؟

ج - كان زمناً مختلفاً وكانت معاملة مختلفة.

س- آخر مرة كذبت فيها؟

ج - منذ بدأت الإجابة عن أسئلتك.

س- ما هي عيوبك؟

ج - لا تحصى.

س- ما هو رد فعلك عندما ينتقدك أحد؟

ج - الفرح الشديد.

س- بصراحة هل أنت مغرور؟

ج - لا . ولكني أعرف مواهبي جيداً.

س- ماذا ينقصك؟

ج - أن أنقص وزني قرابة ٣٠ كيلو جراماً.

س- عندما تتخذ قراراً.. هل تفكّر فيه؟

ج - بطبيعة الحال.. ما هذا السؤال؟!

س- آخر هدية قبلتها.. ما هي مناسبتها؟

ج - اليوم. من زائر عاد من القدس. صورة المسجد الأقصى.

س- لو قابلت شخصاً ينافقك.. ماذا ستفعل؟

ج - أنافقه.

س- ما هو رأيك في ظاهرة الإرهاب؟

ج - أرهبها.

س- وما هو حلّك لها؟

ج - سبق أن قلت لك إني أعرف مواهبي جيداً.. ليس من بينها التنجيم!

س- ماذا تقول لنجيب محفوظ؟

ج - سلامات.

س- رسالة توجهها لمن؟

ج - لا توجد عندي رغبة قصوى الآن لتوجيه رسالة إلى أحد.

س- وآخر، برقية سريعة؟

ج - ولا برقية.

س- وفاكس مستعجل لمن؟

ج - ولا فاكس.

س- بماذا تفكر الآن؟

ج - في العَشاء.

س- ما رأيك بالسلام مع إسرائيل؟

ج - شر يقال: إنه لا بد منه.

س- ماذا تقول لصدام حسين؟

ج - لا أتحدث إليه هذه الأيام.

س- وما هي مشاعرك تجاه الشعب العراقي؟

ج - تعرفها.. ويعرفونها.

س- وماذا تقول للأسرى الكويتيين؟

ج - طال الغياب.

س- وأخيراً.. كيف ترى الوطن الدولي؟

ج - لو أرسلتم لي نسخة مجانية.. لرأيته.

المقامة الحياتية[1]

حدثنا غازي بن عبدالرحمن. وهو شويعر مغمور تعبان. فقال: اسمعوا. ما حدث لي يا إخوان. قالت لي نفسي الأمارة بالسوء. وهي بكل شر تنوء. لماذا لا تنشر قصيدة في جريدة الحياة. صحيفة النخبات والصفوات. والباشات والبكوات. فتصبح من المشاهير. بعد أن كنت لا في العير ولا في النفير؟.

فقلت لنفسي: استعيذي بالله من الوسواس الخناس. الذي يوسوس في صدور الناس. فهذه الجريدة لا تنشر لمن هبَّ ودبَّ. أو من قام وطبّ. وإنما تنشر لعلية الأقوام. خصوصاً من الشوام. من أمثال: نزار بن القبّان. الذي تعطى له صفحة بالمليان. وصورة له من أيام زمان. يبدو فيها كأنه أعظم دون جوان. أو أمثال: أدونيس. الذي يزري بالشيخ الرئيس. ويكتب ألغازاً لا يحلّها إلا إبليس. أو مثل. شعراء الحداثة. ذوي العقول الملتاثة. ممن لا يفهمهم أحد من بني مازن. سوى الأستاذ جهاد الخازن. لهؤلاء تفتح الحياة الأحضان. ولو أدّوا إلى منعها في كل مكان.

قلت لنفسي: أما أنا. فصعلوك. فما الذي حشرني بين الملوك؟ قالت نفسي: ولكنك سفير. ويسميك جهاد الخازن السفير الخطير. ومن أصدقائك صاحب الامتياز سمو الأمير. ولك من الدواوين أكثر من دزّينة. هذا غير الكتب الرصينة. والروايات التاريخية السمينة.

(١) نشرت في الحياة (١٩٩٤).

قلت لنفسي: لِمَ الجدال؟ الذي يسميه الهنود الجنجال. وعلام قيل وقال؟! نرسل القصيدة لرئيس التحرير. ونرى هل يعتبرها من الشعر أو الشعير؟!

ومر اليوم بعد اليوم، وكل شيء ينشر بالكوم. حتّى أخبار الجميز والدوم. إلا القصيدة الملعونة. فإنها ظلت مدفونة. فقلت: هذه نتيجة الرعونة.

قالت نفسي: اصبر يا شويعران. فإنهم يحضّرون المكان. صفحة وربما صفحتان. غير العناوين الكبيرة. والرسوم المثيرة. وخبر قبلها بيومين. يُبَشِّر بِقُرَّة العين.

قلت: الصبر مفتاح الفرج. ومن سار على الدرب كرج.

وبعد عياط ومياط. ومشاكل على الصراط. وشفاعة من قريش. ولماذا وليش. نزلت القصيدة اللندنية. إثر عملية قيصرية. فجاءت مسخاً قبيحًا. كاتفاقية غزة/ أريحا. مدفونة بين الصفحات. وكأنها عورة من العورات. أو سوأة من السوآت. لا يعثر عليها زيد ولا عبيد. ولا أذكى كلاب الصيد. ومكتوبة ببنط دقيق يدفع إلى السآمة. لا تراه حتّى زرقاء اليمامة. هذا غير الأخطاء المطبعية. والأغلاط النحوية.

عندها قررت أن أترك الأشعار. وأفتح مطعماً قرب «يلدزلار» لعل الأستاذ جهاد يأكل عندي وجبتين. فقد قيل: اطعم الفم تستحِ العين.

الشعر العربي ظاهرة إلقائية.. غير صحية[1]

ظاهرة إلقائية

متى يكفّ الشعر العربي عن كونه ظاهرة إلقائية؟

لا يمر شهر واحد عليَّ دون أن أتلقى دعوة لإقامة - أو إحياء !- أمسية شعرية.. ولا تمر عليَّ دعوة واحدة دون اعتذار.

وعبر تجربتي مع الشعر، هذه التجربة التي تتجاوز خمساً وأربعين سنة، لم تكن هناك سوى أقل من عشرين أمسية شعرية.. أو أكثر .. قليلاً..

أي بمعدل أمسية شعرية كل سنتين..

والسبب؟!

السبب أني أرى أن الأمسيات الشعرية لا تكشف عن جمال الشعر.. (وإن فعلت ذلك، كان ذلك عَرَضاً) بقدر ما تكشف عن جمال الحنجرة.

.. بمعنى أن الجمهور لا يعجب بشعر وإنما يطرب لإلقاء..

وأنا، إمّا لتواضع زائد أو لغرور زائد، أود لشعري أن يحكم عليه من دون «محسنات» صوتية.

.. دون تصفيق.

---

(١) عن «سوق الخميس» المنشورة في الأيام (١٩٩٥م).

.. ودون «أعِدّ»!..

ولا أعتقد أن في القاموس العربي كلمة «ترفزني» مثل كلمة «أعِدّ!» .. (باستثناء الخصخصة والخوصصة!) ومثل «أحسنت»!..

أتصوّر عندما أسمع هذه الكلمات - وأمثالها - أني حيوان من حيوانات السرك المدرَّبة.

.. أتذكر أيام: «مَنْ بالباب مِن الشعراء؟»

.. وأيام : «يا غلام! املأ فاه جوهراً!»..

ومع ذلك تجد من الشعراء مَنْ يعتبر التصفيق مقياس النجاح.. الوحيد.. الأوحد!!

متى إذن، نتجاوز المرحلة «السماعية» إلى المرحلة «العقلية» .. أو المرحلة «الروحية» ؟..

من دون هذا التجاوز سوف يظل الشعر العربي ظاهرة إلقائية..

وسيكون أعظم الشعراء أضخمهم حنجرة..

أو أقدرهم على القفز أمام الجمهور.. مثل حيوانات السيرك.. ليظفر.. بتصفيق.. أو «أعِدّ!»..

أو «أحسنت!»..

.. أنا لا أحب أن أعيد..

رحم الله والديكم!!

وقصة عن الظاهرة الإلقائية

يروي أكرم زعيتر في كتابه «بدوي الجبل وإخاء أربعين سنة» نقلاً عن بدوي الجبل ما يلي:

كنا مدعوين إلى تأبين أحمد شوقي في أربعينه في القاهرة، وأُجلسنا معشر الشعراء على المسرح، وقد امتلأت القاعة بالحضور.. وكان الشاعر خليل مردم بك بقربي ولمحنا فلاناً (وسمّى شاعراً نظّاماً من لبنان) يدخل القاعة، ويصعد المنبر. فتساءل خليل مردم بك: «ومن الذي دعاه؟ أيجوز أن يكون مثله في صف مؤبّني شوقي في هذا الحفل؟» (جملة اعتراضية من كاتب هذه السطور: لاحظ الغيرة بين الشعراء! حتى على التأبين لا نخلو من الحسد.. ولكن تلك قصة أخرى!) فأجبته: «اصبر وسترى ما يَسرُّك!!».

ودُعي المذكور إلى إلقاء قصيدة فلم يكد يتلو البيت الأول بإلقائه البديع حتى دوت القاعة بالتصفيق واستعيد البيت، وتصاعد التصفيق الحاد، وصاح أحدهم: «والله إن مثل هذا الشعر لا يجوز أن يتلى إلا ونحن وقوف». فوقف الجمهور، ووقفت وخليل مردم بك تحية لهذا الشعر مع الواقفين وأمرنا لله، حتى أنهى القصيدة في عواصف من التصفيق، وأخرج مردم بك علبة سجاير من جيبه وكتب على ظهرها عبارة سخرية لاذعة من جمهور كهذا أ. هـ.

حسنا.. يا بدوي الجبل العظيم.. يكفيك أن أحدا لم يعد يتذكر الشاعر النظَّام (المذكور) وتبقى أنت.. وتبقى:

غـاب عند الثـرى أحـبـاء قلبي

فـالثـرى وحـدَه الحـبـيبُ الخليلُ

خيّمتْ وحشةُ الفراغ على الأحباب..

.. فــالقــبــرُ وحــدَهُ المأهولُ

ألفُ هيجاء خُضتها لم تجدّ لك..

.. أحقاً أنت الصريعُ الجديلُ؟!

ويبقى ما قلته في حفيدك أجمل ما قاله شاعر عربي في حفيده:

تودُّ النجـومُ الزهـرُ لو أنهـا دمي

ليـخـتـار منهـا المترفـات ويلعـبـا

وعندي كنوزٌ من حنانٍ ورحـمـةٍ

نعـيـمَي أن يُغـري بهن وينهـبـا!

يجورُ.. وبعضُ الجور حلوٌ محببٌ

ولم أرَ قبل الطفل ظُلماً محبّبا

ويغضبُ أحيانا.. ويرضى.. وحسبُنا

من الصفو.. أن يرضَى علينا ويغضبا

يزُّف لنا الأعياد: عيداً إذا خطا

وعيداً إذا ناغى .. وعيدا إذا حبا

المعــذرة يا بدوي الجــبل!..

كــدتُ أقــولُ «أعِـــدْ!»..

المعذرة!

ولماذا كان الشعر العربي ظاهرة غير صحية؟!

قطع كسرى لسان لقيط بن يعمر الإيادي. أما طرفة بن العبد فقُطِعَتْ يداه ورجلاه ودُفن حياً. وقُطِعَ عرقُ عبديغوث الحارثي حتى مات وهو ينزف. وحَبس النعمانُ عُدي بن زيد العبادي وقتله. وقَتل النعمانُ عبيدَ بن الزبرحي (بالعرق ذاته!).

ودُفن المنخلُ اليشكري حياً. وحَرقت قبيلةُ بني الحسحاس عبدها سحيم حرقًا. ودَفن الوليد بن عبدالملك وضّاحَ اليمن حيّا في بئر وقُتل يزيد بن الطثرية.

وقتل الحجاجُ أبا جلدة اليشكري. وصلبَ المهديُّ صالحَ بن عبدالقدوس. ومات بشارُ بن برد ضرباً بالسياط. ومات ابُن الدمينة في السجن. وقتل المأمونُ عليَ بن جبلة (العكوك) ومات الزّيات في تنّور. ومات محمد بن صالح العلوي في سجن سُرَّ مَنْ رأى. ومات ابن الرومي مسموماً. ومات المتنبي مقتولاً. ومات أبو فراس مقتولاً. ومات التهامي في سجنه. وقتل المعتمدُ محمدَ بن عمار بنفسه. ومات ابن هاني الأندلسي مخنوقاً بتكة سراويله.. إلخ.. إلخ.

لا بد من الوقوف عند هذا الحد.. فأنا لا أريد أن أرعب الشعراء المعاصرين.. ولا أرعب نفسي.. وسامح الله الذين يكررون أن الشعراء العرب لم يعرفوا إلا المديح.. سامحهم الله!.. ووقاهم شر الموت مخنوقين بتكة سراويلهم!!

الشيء بالشيء يذكر

ومما كتبه كاتب هذه السطور إلى صديقه أبي الملوك[1] - عبدالرحمن رفيع - في عام تسع وخمسين وتسعمائة وألف ميلادية. من المنامة إلى القاهرة:

إذا كنتَ أنتَ أحب الرفـــاق

نسيتَ العهود.. فمَنْ ذا بقي؟!

طمعتُ بكتبك بعد الفراق

وقلتُ ستذكرُ هذا الشقي

ومـا كنتُ أعلم أن سطورك

أندرُ «من بيضة النُّقنقِ»

و «بيضة النقنق» تعبير كان أبو الملوك وقتها يستملحه.. ولعله.. من قبيل «بيض الصعو».. والله أعلم!

وقد كان هذا قبل خوف أبي الملوك من الكولسترول!!

الأبجدية في بيت واحد

يروي أبو بكر محمد بن داوود الأصبهاني صاحب كتاب الزهرة في باب «الشعر الذي يستظرف لخروجه عن حد ما يعرف» أبياتاً جمعت الحروف كلها.

* ومنها:

(١) نسبة إلى أبنائه فهد وفيصل وخالد.

صف خَلق خودٍ كمثل الشمس إذ بزغتْ

يحظى الضجيع بها نجلاء معطارِ

* ومنها:

هلا سكنت بذي ضغث فقد زعموا

شخصت تطلب ظبياً راح مجتازا

* ومنها:

اصبر على حفظ خُضر واستشر فطناً

وزُجّ همّك في بغداد منثملا

وروى في الباب نفسه شعراً عربياً/ فارسياً:

وقائل قال لي فأفحمني

يا هائم القلب ما ترى رشدك!

قلبُك هذا كم أنت تاركه

عند الذي ليس قلبه عندك

يا كور شنيئم وكور دل وشوخ

روى بنا إندكا تدك!

وروى شعراً عربياً/ رومياً:

حبّذا قولها وقد لحظتني

من وراء السرير بوسا نيسى

قلت: مـــا قـــول أي شـــيـــئين

والأعـــز شك.. فـإنني قـاقـوس!

فـــإذا مـــا فـــعلت ذاك فـــعندي

لقـطّينـا نعم.. ومليـــــارُ يس!

قال كاتب هذه السطور:

لو أدرك صاحب الزهرة أيامنا هذه لأتحفنا بشعر عربي/ عبري!

والله المستعان على ما يصفون.. ويطبّعون!!

وللّه در العاميّة البحرينية التي تساوي بين «التطبيع» .. «والتغريق»!

بين الشباب والمشيب

قال أبو الشيص:

يطوف علينا بهــــا أحــــورٌ

يداه من الكأس مــخـضـوبتـانِ

ليَـــالي يُحـــسبُ لي من سنيّ

ثمـــان.. وواحـــدةٌ.. واثنتـــانِ

غـــلامٌ صـــغـــيـــرٌ أخـــو شـــرةٍ

يطيـــرُ مع اللهـــوبي.. طائرانِ

جـــرور الإزارِ.. خليع العـــذارِ

عليَّ لعـــهـــد الصـــبـــا بردتان

أصـــــيبُ الـذنـوب.. ولا أتـقـي

عــقــوبة.. مــا يكتب الكاتبــانِ

فـــراجــعتُ لما أطار الشـــبـــاب

غـــرابان عـن مــفــرقي. . طائرانِ

وأقـــصـــرتُ لما نهــاني المشــيبُ

وأقــصـــر عن عــذلي العــاذلانِ

وعــــافتْ لعُـــوب وأترابهـــــا

دنوّي إليـــهـــا.. ومَلَّتْ مكانـيِ

رأتْ جــلاً وَسَـــمَــتْــهُ السنون

بريْب المشــيب وريْب الزمـــانِ

رحمك الله يا أبا الشيص!..

ورحمنا معك!

وفي الختام عن الوداع.. قالوا..

* **قال البحتري:**

وعـــــرفت مـــــا يلقى المودّعُ

عند ضـــمّكِ.. واعـــتناقِكْ

وعـلـمـت أن لـقــــــاءَنـا

سـببُ اشـتـيـاقي واشـتـيـاقِكْ

وتـركـتُ ذاك تـعـــــمّـــــدًا

وخـــرجتُ أهـربُ مـن فـــراقِكْ.

*** وقال ذو الرمّة:**

فلمـا تلاحـقنـا.. ولا مـثل مـا بنا

من الوجد.. لا تنقضّ منه الأضالعُ

غَدوْن. فـأحسـن الوداع.. فلم نقل..

كما قُلن.. إلا أن تُشيـر الأصـابعُ

وخَـــالسنَ بسّـــامــا إلينا كــأنما

تصيب به حَبَّ القلوب.. القـوارعُ

*** وقال آخر:**

أمّـا الرحـيلُ فـحين جـدَّ ترجَّلتْ

مُـهجُ النفـوسِ له عن الأجـسـادِ

مَنْ لـم يمتْ والبينُ يصـدعُ شـملَهُ

لم يدرِ كـيف تفـتّتُ الأكـبـادِ

* * *

المقامة البطرس غالية[1]

بينما كنت في لذيذ الأحلام. إذ بي في حضن حلم من الأحلام. وجدت فيه نفسي السكرتير العام. بطرس غالي الهمام. وقد دخل علي الناموس. وهو إنسان يشبه الجاموس. شديد العبوس، طويل الجلوس. قال: هناك بعض البرقيات. فقلت له: «هات!» قال: «نشبت الحرب بين بُرندي وزائير. ومات الكثير. وخلفت الكثير من اللاجئين. ومعظمهم من الجائعين». قلت: «فماذا قالت مادلين؟». قال: «قالت: إن لم يجدوا الكعك فليأكلوا الطين».

قلت: «هل هناك المزيد من الأخبار؟ وابدأ بالخبر السار». قال: «سقطت طائرة حبشية. فوق الجزر القمرية». قلت: «هل هذا خبر سار. يا أيها الحمار؟ هل هناك المزيد؟» قال: بالتأكيد. قام انقلاب في خرطبيس. أودى بنظام الرئيس». قلت: «أنا سكرتير منظمة دولية. وما دخلي بالشؤون الداخلية؟». قال: «الرئيس المخلوع من أقارب مادلين. وقد وعدَتْهُ بالتدخل والنصر المبين». قلت: «تبّاً لهذه الشمطاء. العجوز القرعاء! أعطني بعض الأخبار السارة. من هذه القارة أو تلك القارة». قال: «ألا تعرف ما حدث في بنجالور؟». قلت: «ماذا حدث يا ثور؟». قال: «الكثير من الجنجال. وساح الدم وسال». قلت: «أهي فتنة عرقية. أم مشكلة دينية؟». قال: «المشكلة مسابقة ملكة الجمال. وقد أثارت الكثير من الجدال». قلت: «فماذا كان»؟

(١) نشرت في الوطن (١٩٩٦م)

قال: «انتخبوا ملكة جمال اليونان. ولم يحرق نفسه أحد من اليونيان». قلت: «هل هناك المزيد؟». قال: «أيها السكرتير العتيد. أضرب الموظفون المفصولون. وأقسموا أنهم سوف لا يعودون». قلت: «فلماذا لا يرجعون؟». قال: «لأننا مفلسون». قلت: «وكيف حصل الإفلاس يا مشؤوم؟». قال: «لأن العم سام لا يدفع المقسوم». قلت: «ولماذا لا يسدّد الحساب؟». قال: «لأنه يحمل بعض العتاب. لشخصك المهاب. فقد فضحت إسرائيل. فضيحة لا تغسلها مياه النيل». قلت: «فماذا تمّ في الترشيح؟». قال: « هل تريد التصريح أم التلميح؟». قلت: «أريد الكلام الصحيح». قال: «وافق الجميع في مجلس الأمن». قلت: «هذا هو العسل بالسمن». قال: «مع استثناء مادلين. التي تحدّت العالمين. واستعملت حق الفيتو. وهددت بتحويلك إلى فتافيتو». وهنا صحوت على صوت أم البنين. تقول لي: «مالك تئن هذا الأنين؟!». قلت: «حلمتُ أني سكرتير الأمم المتحدة». قالت: «هذا من فعل المعدة». قلت: «كل هذا من فعل الأسد الكاسر. سالم بن الدواسر. متّعه الله بالصحة والتمكين. وجعله يعشق مادلين. وينظم فيها الشعر الرصين. قولوا أيُّها القرّاء: آمين!».

عن الدهشة

والابتزاز.. وأشياء أخرى[1]

شيء من الدهشة!!

«الإنسان العربي في حالة دهشة دائمة. بريطانيا، منذ سنة ١٩١٧م وعدت بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وبتقديم كل ما في وسعها لتسهيل قيامه. هذا الكلام قالته علناً، وبصورة رسمية في الوثيقة المسماة وعد بلفور، ثم ضمّنته صك الانتداب على فلسطين وعملت على تحقيقه يوماً بعد يوم. وتأتي سنة ١٩٤٨م فتجد الإنسان العربي في «دهشة» من الخيانة البريطانية. والولايات المتحدة منذ عشرينات هذا القرن الميلادي، وهي تعطف على الحركة الصهيونية، وتؤيدها مادياً ومعنوياً، وتُعَبِّر عن تأييدها بصراحة ما بعدها صراحة، والإنسان العربي لا يزال في «دهشة» من الموقف الأمريكي».

والمدهش أنني كتبت هذا الكلام سنة ١٩٦٧م..

وما زلنا مندهشين..

عن السكرتير المعجزة

طالعتنا صحف خليجية - ولا داعي للفضائح فالله أمرنا بالستر- بإعلان على صفحة كاملة، تكرر قرابة أسبوعين، بتكاليف سوف أعود إليها بعد برهة، ويطلب الإعلان «سكرتيراً تنفيذياً».

---

(١) عن استراحة الخميس المنشورة في الوطن (١٩٩٦م).

والشركة المعلنة، بدافع من الوطنية الصادقة، أعلنتْ أنها تفضّل المواطنين.

ما المواصفات المطلوبة في هذا السكرتير؟ هي، في الواقع بسيطة جداً لا تتعدى ٤٠ أو ٥٠ مواصفة. هناك إتقان اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والروسية والألمانية والبرتغالية والأسبانية «وشيء من الأوردو والسواحيلي» حسناً! هل يوجد في العالم سكرتير تنفيذي واحد لا يتقن هذه اللغات؟!

هناك، بعد اللغات، طلب أبسط من بسيط: شهادة عليا مع خبرة لا تتجاوز ٣٥ سنة في المهام التنفيذية. وهذا الطلب، بدوره، أسهل من سهل. هل تعرفون - يا جماعة الخير! - سكرتيراً تنفيذياً واحداً لا يحمل شهادة الدكتوراه في الإدارة من هارفارد وخبرة ٣٠ سنة كنائب لرئيس البنك الدولي؟!

وماذا عن المهام؟! أشياء بسيطة جداً، إدارة المكتب والإشراف على ألف موظف، وترجمة الوثائق، والرد على التليفونات، وإصلاح الكمبيوتر، وتقديم المنولوجات الخفيفة أمام كبار الزوار، وحك ظهر رئيس مجلس الإدارة، وتوصيل «العيال» إلى المدرسة، واستقبال الوفود في المطارات، وتصميم المحطات الكهربائية، وإعطاء دروس خصوصية في التاريخ لابن المدير العام، بالإضافة طبعاً للوظائف المعتادة التي يتولاها السكرتير التنفيذي كل يوم.

رُوي أن جحا ذهب إلى سوق الحمير - قبل أن يسمح للحمير بدخول كل مكان - يريد أن يشتري حماراً، فلما سُئل عن الحمار الذي يريده قال: «أريد حماراً إذا نظرت إليه ركض، وإذا لمسته وقف، وإذا أطعمته شكر، وإذا أجعته حمد، لا يرفس ولا ينهق ولا يعطس، يعرف إلى البيت الطريق، ويبخص العدو من الصديق، تشم منه روائح العود، إذا مشى تبختر، وإذا تبختر أسكر، وإذا ...»!

قاطعه شهبندر سوق الحمير قائلاً: «اذهب وعُدْ لنا إذا سمعت أن الله مسخ قاضي القضاة حماراً».

أقول للشركة الحريصة على الخلجنة: إذا بعث الله أرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا وأمكن خلطهم بمادونا ومايكل جاكسون وعادل إمام فقد تستطيعون أن تجدوا في الخلطة «سكرتيركم التنفيذي».

على أية حال، سعيكم مشكور!!

وحلال على الجرائد قيمة إعلاناتكم التي تزيد على مرتب العبد الفقير كاتب هذه السطور مدة سنتين (على الأقل).

شيء من الغزل الفصيح

لنا صاحب متنطع بعض الشيء لا يتكلم إلا باللغة الفصحى، رأى حسناء راقت له، فقال لها: «أيتها الهركولة الفنق البهنانة الخمصانة البرهرهة البخنداة..».

ولم يكمل لأن الحسناء صفعته صفعة ترددت أصداؤها من «ماي فير» إلى «ومبلدون».

قلت للنحوي: «يا أخي لِمَ تشتم فتاة في سن ابنتك؟» قال: «سامحك الله! وسامحها! لم أشتمها بل مدحتها، الهركولة: هي حلوة الردف، والفنق: هي المدللة المرفهة، والبهنانة: هي الناعمة، والخمصانة: هي الرشيقة، والبرهرهة: هي رقيقة الملمس، والبخنداة: هي..»

قاطعته قائلاً: «للّه درُّك من وغل تنبال فدم عذروط خلبوت»

وأطلقت ساقي للريح قبل أن يقول أو يفعل شيئاً!

سلامة قلبك يا دكتور!

بمجرد أن انتشر الخبر أن الأميرة ديانا زارت صديقنا عميد السلك الدبلوماسي العربي السفير محمد شاكر في المستشفى إثر وعكة صحية خرج منها بحمد الله سليماً معافى، أقول: بمجرد انتشار الخبر، شوهد عدد من الدبلوماسيين «من غير العرب طبعاً» وهم يضعون أيديهم على صدورهم ويتظاهرون بآلام شديدة في القلب.

رحم الله بشار بن برد الذي قال:

ليت داء الصداع أمسى برأسي ثم باتت سعاد من عوّادي!!

الإيجاز في طبائع الابتزاز

يخلط كثيرون بين المرتزق أو «الأرزقي» كما يقول أستاذنا محمود السعدني وبين المبتز.

المرتزق يؤدي خدمة مقابل أجر معلوم، لا أكثر من ذلك ولا أقل، وكل البشر على نحو أو آخر مرتزقون.

أما **المبتزّ** ففصيلة أخرى لا تؤدي خدمة تتجاوز الابتزاز، وللمبتز خصائص أوجزها فرويد بن فرويد بن فرويد على النحو التالي:

أولاً: المبتزّ يكرهك كره العمى «أو أكثر!» وكلما زدته مالاً كلما ازداد كرهاً فيك، وطلباً للمزيد من المال.

ثانياً: المبتزّ، إن كانت له أيديولوجية، ينتمي إلى أيديولوجية تختلف، جملة وتفصيلاً، عن أيديولوجية ضحية الابتزاز، وتستهدف تحطيمها.

ثالثاً: المبتزّ إذا لاطفته تكبَّر، وإذا تجاهلته زمجر، وإذا دعوته إلى مناسبة اعتذر، وإذا لم تدعه انفجر،

رابعاً: المبتزّ يتعالم وهو جاهل، ويتظارف وهو ثقيل، ويتفلسف وهو أمِّي، ويدعي المعرفة بدخائل الأمور وهو «ما عنده ما عند جدتي»!!

خامساً: المبتز في الأغلب نتن الرائحة، زري المظهر، سيء الأخلاق كثير الشقاق والنفاق، ويغلب أن يكون فوق ذلك قبيح الشكل.

سادساً: المبتز يعيش حالة لا تنتهي من الإحباط والكآبة؛ لأنه رغم الملايين التي يجنيها من ابتزازه لا يستطيع أن يحترم نفسه.

سابعاً: أصدق ما قيل في المبتزّين ما قاله المتنبّي العظيم:

«والحُرُّ ممتحنٌ بأولاد الزنى».

قال فرويد بن فرويد بن فرويد:

والعكس صحيح!!

ساعة! ساعة! ساعة!

* ساعة من ذهب ؟!

- لا!

* ساعة بج بن؟!

- لا

* ساعة من ستين دقيقة؟

- لا!

* ماذا إذن؟!

- هي ذلك الوقت الساحر المسحور الذي بدأ ذات.. ذات ماذا؟! بدأ حين بدأ، وانتهى حين انتهى!

* وماذا حدث في تلك الساعة؟!

- لم تحدث أشياء خطيرة ولا مثيرة!

* تحدثت الطفلة التي ترتدي جسد المرأة الجميلة عن المعاناة التي تبدأ مع الفجر وتنتهي مع المساء، وكادت تبكي وهي تتكلم عن حاجتها إلى الحنان.

* وماذا قال هو؟!

أوشك أن يقول: إن فاقد الشيء لا يعطيه، ولكنه لم يقلها.

وكاد يعترف أن جوعه إلى الحنان يفوق جوعها، ولكنه لم يعترف.

وابتسمت المرأة الجميلة التي ترتدي جسد طفلة..

وأمطرت لندن ملبساً وجوز هند.. و «عقيلي»!!

وانتهت الساعة قبل أن تبدأ، وعندما ذهبت تمنى لو كان شاعراً شعبياً ينظم أغنية مطلعها:

ساعة ! ساعة! ساعة!

من أجمل ما قيل

في الكهولة

لا تسألينـي عن الخمسين ما فعلت

يبلى الشباب.. ولا تبلى سجاياه

بدوي الجبل

في الرثاء

فـاذهبْ .. كـمـا ذهب الشـبـابُ.. فـإنه

قـد كـان خـيـرَ مـجـاورٍ وعـشـيـرِ

دعبل

في الاعتذار

هـبـيني امـرأً.. إمّـا بـريئـاً ظلمـتِـه

وإمـا مـسـيـئـاً مـذنبـاً .. فـيـتـوبُ

الأحوص

في السهر

تـــركـــتُ الـــنـــومَ لـــلـــنُـــوّام..

إشـــفـــاقـــاً عـلى عـــمـــري

كشاجم

في التصابي

فـســمـعـتُ أقـبـح مـا سـمـعـتُ نداءها:

مـــا بـال هذا الأشـيـبِ المتـصـابـي؟!

السلامي

في الجنون

جنونُك مجنونٌ.. ولست بواجدٍ

طبيباً يداوي من جنونِ جنونِ

الإمام الشافعي

في الحب

أقسم لو خُيِّرتُ بين فراقه

وبين أبي .. اخترتُ ألاّ أبا ليا !!

أعرابية

في الحزن

أحالني الهمُّ إلى ليلةٍ

ماطرةٍ.. تعصف فيها الرياحْ

الأخطل الصغير

وفي الختام

يا كُتَّاب هذه الاستراحة. اعلموا أنها بمثابة واحة. خُصصت لكي تجلب للقارئ الراحة. فلا تملؤوها بالأمور الجدية. والمناقشات العقلية. واحرصوا أن تكون طريفة. ورشيقة ظريفة. فيها من كل بستان ألوان. ومن كل «بوتيك» فستان. وأكثروا فيها من الحديث عن

الحسان. ولا تخوضوا في السياسة. فذلك ضرب من التياسة . واذكروا أن القارئ المسكين يتعرض لعذاب مهين. يبدأ من الغبشة. نكشة بعد نكشة. ولا ينتهي عذاب الويل. ولا بعد منتصف الليل، وهو يا سادة يا كرام. بين إسرائيليين لئام. يسمون الاحتلال السلام. ونظام دولي جديد. أصبحنا فيه من العبيد. ولا تنسوا حكم آل تكريت، وغرامه بالمزدوج والكبريت. واذكروا ما يدور في البلقان من هوان. ولا تنسوا مأساة الشيشان. وتذكروا صحف لندن العربية. وما فيها من بلاوٍ مستخبية. ولا تنسوا الفضائيات والهوائيات. والضحكات المتصاعدة من المذيعات. وهن يقرأن أخبار المجزرات. واذكروا، رحمكم الله، أنكم في عصر التطبيع. الذي لم يبق شيء فيه ما بيع. وعصر الخصخصة. التي تسمى في الخليج «القلقصة». ارحموا قارئ هذه السطور. المسحوق المقهور. ولا تكتبوا في الاستراحة. إلا ما يُذْهِبُ أتراحه. ويزيد أفراحه.

فإن لم تفعلوا أغريت الأستاذ سالم الدوسري بنتفكم نتف غرائب الإبلْ. حتى يصبح العاقل منكم «خبِلّ».

وقبل أن أنسى

قال راجي عفو ربه كاتب هذه السطور:

يومين .. ضاع رشادي

مني .. وضاع فؤادي!

مـــا بين شـــعـــرٍ ونثـــرٍ

وحـــرقـــةٍ.. وسُـــهـــادِ

الليل مـــرّ ســـريعـــاً

بالفـــجـــرِ.. ركضَ الجـــوادِ

يـــومـــين.. وارتـــدّ قـــلـــبـــي

مـــضُـــمّـــداً .. وقِـــيـــادي

شكراً !! شـــفـــيتِ جنوني

بمـوعـــــدٍ مـن رمـــادِ

وســـاعـــةٍ من عـــذابٍ

على نِصـــالِ البِـــعـــادِ

* * *

أشياء شعرية كثيرة[1]

شيء .. من الماسوشية

أرى مـاءً.. وبي عطشٌ شـديدٌ

ولكن لا سـبـيل إلى الورودِ

أمـا يكفـيك أنك تملكيني

وأن الناس كلهم.. عـبـيـدي؟!

وأنك لو قطعتِ يدي.. ورجلي

لقلتُ من الهوى «أحسنتِ! زيدي!!»

«ابن الرومي»

شيء من ميّة

وميّـة أحسن الثقلين جِيداً

وسـالفـة.. وأحسنهم قـذالا

فلم أرَ مـثلهـا نظراً.. وعـينًا

ولا أم الغـزالِ.. ولا الغـزالا!

«ذو الرمة»

---

(١) عن «سوق الخميس» المنشورة في الأيام (١٩٩٧).

شيء .. من الملكية

ولي موجة خطفتها النوارس.. لي مشهدي الخاص..

لي عُشبةٌ زائدهْ

ولي قمرٌ في أقاصي الكلام..

ورزقُ الطيور.. وزيتونةٌ خالدهْ

«محمود درويش»

شيء .. من الخيار

كواكبُ شيب .. علقن الصبا

فقلَّلن من حسنه.. ما كَثرْ

وإني وجدت - فلا تكذبن!-

سواد الهوى.. في بياضِ الشعَرْ

ولا بد من ترك إحدى اثنتين

إمَّا الشبابَ.. وإما العُمرْ!

«البحتري»

شيء .. من "الطبطبة"

لا ترتكب قصيدة عنيفة

لا ترتكب قصيدة عنيفة

طبطب على أعجازها طبطبة خفيفة

إن شئت أن

تنشـر أشـعارك في الصـحـيفـة

«أحمد مطر»

شـيء .. من التمنـي

ألا ليــتنا يا عـــز كنا لذي غنى

بعيرين.. نَرعى في الخلاء .. ونُعزَبُ

إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله

علينا .. فما ننفكّ نُرمى.. ونُضربُ

نكون بعيري ذي غنىً.. فيضيعُنا

فلا هو يَرعانا .. ولا نحن نُطلَبُ

«كثير عزة»

شـيء .. من العشـق الإلهي

أَبْقِ لي مقلةً .. لعلّي يوماً

قبل موتي أرى بها من راكا

أين مني ما رُمتَ؟ هيهات! بل

أين لعيني، بالجفن، لثمُ ثراكا؟

فبشيري لو جاء منك بعطفٍ

ووجودي في قبضتي قلت: هاكا!

«ابن الفارض»

شيء .. من الخوف

فقير بوقتي.. فقير بجسمي الذي سيشيخ قريباً..

أحبّك حتى لأبكي من الخوف

أني سأكبر .. ماذا سأصنع كي لا أموت..

وأبقى جميلاً؟!

«جوزف حرب»

شيء .. من الرثاء

وكم صاحبٍ كمناط الفؤاد

عناني من يومهِ ما عناني

قد انتزعت من يديّ المنون

ولم يغنِ ضمّي عليه بنَاني

فزال زِيال الشباب الرطيب

خانك يومَ لقاء الغواني

ليـــبكِ الـزمـــانُ عليك طويـلاً!

فـقــد كنتَ خِـفَّــة روحِ الزمـــانِ

«الشريف الرضي»

شـيء .. من الموشحات

لما رأيتُ الليلَ أبدى المشيبْ

والأنجم الزهرَ هوت للمغيبْ

والوُرقَ تبدي كل لحنٍ عجيبْ

ناديت صحبي حين لاح الصباحْ قولاً صُراحْ:

حي على اللذّة .. والاصطباحْ!

«ابن سهل»

شـيء .. من التشـاؤم

ما زلت أُضحك إبلي كلما نظرتْ

إلى من اختـضـبتْ أخـفـافُـهـا بدمِ

أسـيـرُها بين أصنامٍ أشـاهـدُها

ولا أشـاهـدُ فـيـهـا عـفّـة الصنمِ

حتى رجعتُ وأقـلامي قـوائلُ لي:

«المجدُ للسيفِ .. لَيس المجد للقلم!»

«المتنبي»

شـيء .. من المجون

وعاصِ النصيح.. الذي لا يبيح .. وصال المليح.. إذا ما سمحْ

وفارق أباك، إذ ما أباك ومدَّ الشباك وصِدْ من سنحْ

«الحريري»

شـيء .. عن ذاك الزمان

رُبَّ ليلٍ كـــأنه الصـــبح في

الحسن ..وإن كان أسود الطيلسانِ

قـد ركضنـا فيـه إلى اللهـو .. لما

وقف النجم وقـــفَـــة الحـيـــرانِ

كم أردنـا ذاك الـزمــــان بمدحٍ

فـــشُـــغلنا بذّم هذا الزمــــان

« أبوالعلاء المعري»

شـيء .. من الدفن

كفنوه!

وادفنوه!

أسكنوهُ

هوة اللحد العميقْ

واذهبوا .. لا تندبوه!

هو شعبٌ ميت ليس يفيقْ

«نسيب عريضة»

شيء .. من البدر

في السما بدرٌ ..وفي الأرض الجمالْ

آه ! لو طَال بنا الدرب ..وطَالْ

أشفق البدرُ .. وقد أبصرني

عدتُ وحدي.. أشفق البدر وقالْ:

أو مارقّتْ على الشوقِ الذي

أشعلته؟! «قلت يا بدرُ»: مُحالْ!

إنها أختك يا بدرُ.. وكم

عذّبتني.. بأفانينِ الدلاَلْ

أنت في الأفق بعيدٌ . . وتُطالْ

وهي في الأرض قريبٌ.. لا تُنَالْ

قُلْ لها: لو عانَقتني مرَّةً

جعلتني ملكاً بين الرجالْ

«كاتب هذه السطور»

عن الدكاترة زكي مبارك ..
والذين يتبعهم الغاوون[1]

مباركيات

في ديوانه «ألحان الخلود» - وهو مليء بقطع نثرية هنا وهناك - يورد صاحب الديوان الدكتور (آسف! الدكاترة) زكي مبارك - رحمه الله - عجائب من الاعتداد بالنفس.

يقول على سبيل المثال لا الحصر:

* «ستَبِيدُ أحجار الجامعة المصرية ويبقى كتابي (النثر الفني)».

* «ولن يستطيع ناقد متحذلق أن يكتب حرفاً في نقد هذا الديوان، فما عرفَتِ اللغة العربية في تاريخها القديم، وتاريخها الحديث، قلماً أمضَى من قلمي، أو بياناً أبلغ من بياني».

* «لقد نظمت أكثر من ثلاثين ألف بيت في غرض واحد هو التغنّي بجمال الجمال».

قال أبو يارا:

* نظم المتنبي أقل من ستة آلاف بيت معظمها من الشعر الحقيقي. أما الدكاترة، ذو الثلاثين ألفاً فلمْ أعثر في شعره كله إلا على بيتين اثنين من الشعر الحقيقي هما:

---

(١) «عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٧م).

بقـيّــةٌ من صـبــاك الغض بـاقـيــة

وجــنوة من غــرامي وَقْــدُها بـاقي

تعــالِ نحـيـي شـهـيـدَ اللهـو ثانيــة

ونصــرعُ الهم بين الكأس والســاقي

ورُبّ بيتٍ بألف قصيدة!

جاهينيات

للشـاعـر المبـدع - والرسـام الموهوب - صـلاح جـاهـين رباعـيـات جميلة نقتطف منها هاتين الرباعيتين:

كــرباج ســعــادة وقلبي منه إنجَلدْ

رَمَح كــأنــه حــصــان ولفّ البلــدْ

ورجعَ لي نُص الليل.. وســألني ليـه:

«خجلان تقول إنك سعيد يا ولد؟»

عجبي!

مـزيكة هاديه .. الكون فيـهـا انغـمـرْ

وصيفْ .. وليلْ.. وعُقد فل.. وَسمَرْ

يا هلترَى الناس كلهم مبسوطين؟

ويا هلترى شايفين جمال القمـر؟

عجبي!

قال أبو يارا:

* ومن عجيب أمر هذا الشاعر الذي يدعونا إلى السعادة بهذه الحرارة أنه مات ضحية الكآبة..

وكان سبب كآبته الرئيسي أنه فقد أكثر من نصف وزنه نتيجة ريجيم قاسٍ اتبعه بعد مرضه.

قال أبو يارا:

* دلت البحوث التي أجريتها بنفسي على عدد كبير من الزملاء والمعارف أن الإنسان عندما يفقد شيئاً من وزنه يفقد معه شيئاً من خفة روحه.. ومن سعادته.. ومن انشراحه..

فيا عُشَّاق الرجيم ويا عاشقاته:

حذارِ! حذارِ!

جسد سمين خير من روح هزيلة!

* وقد ترك شاعرنا لابنه وصية مؤثرة:

أوصيك يا ابني بالقمر والزهُورْ

أوصيك بليل القاهرةِ المسحورْ

وان جيت في بالك.. اشتري عقد فل

لأي سمرا ..وقبري أوعى تزورْ

عجبي!

قال أبو يارا:

* أواه! أثرت الكثير من المواجع!

ليل القاهرة المسحور!

وعقد فل!

وسمراء !

رحمك الله أيها الشاعر الكبير..

وزاد ليل القاهرة سحراً!

حزميات

قال الإمام الجليل ابن حزم الأندلسي - رحمه الله - في كتابه الشهير «طوق الحمامة» تحت باب الوصل:

ومن وجوه العشق الوصل، وهو حظ رفيع، ومرتبة سرية، ودرجة عالية، وسعد طالع، بل هو الحياة المجددة، والعيش السني، والسرور الدائم، ورحمة من الله عظيمة.. ولقد جربت اللذات على تصرفها، وأدركت الحظوظ على اختلافها، فما للدنو من السلطان، ولا للمال المستفاد، ولا الوجود بعد العدم، ولا الأوبة بعد طول الغيبة، ولا الأمن بعد الخوف، ولا التروح على المال، من الموقع في النفس ما للوصل، لاسيما بعد طول الامتناع وحلول الهجر، حتى يتأجج عليه الشوق. وتتضرم نار الرجاء.

وما أصناف النبات بعد غِبِّ القطر، ولا إشراق الأزاهير بعد إقلاع السحب الساريات. في الزمان السجسج، ولا خرير المياه المتخللة لأفانين النوار، ولا تأنق القصور البيض قد أحدقت بها الرياض الخضر، بأحسن من وصل حبيب قد رضيت أخلاقه،

وتقابلت في الحسن أوصافه، وإنه لمعجز ألسنة البلغاء، ومقصر بيان الفصحاء، وعنده تطيش الألباب، وتغرب الأفهام.

قال أبو يارا:

* رحم الله الفقيه العظيم الإنسان..

لو وُجِدَ في أيامنا هذه لما عدمنا من يطالب بمنع كتابه!

بحارنيات

يقول صديقنا الشاعر تقي البحارنة يصف نادلة (أي جرسونة) جميلة رآها في مؤتمر للبرلمانيين العرب تقدم الطعام للبرلمانيين الأفاضل:

فمشوا إلى غرف الطعام.. مع الهنا والعافيهْ

فالكل يدعو «ناديهْ» .. ويقول: «هاتي زاديهْ!»

إلا أنا ! .. فلقد فُتِنتُ بها.. وليست داريهْ

فأقول: قد تأتي عساها صدفَة.. أو ثانيهْ

تشتاق نفسي للطعام إذا مشَتْ بإزائيهْ

وافترّ مبسمها.. وضوّع عطرها في الآنيهْ

لاموا .. ولو عرفوا الحقيقة .. ما تجنَّوا ثانيهْ

إن الطعام يلذ من أيدٍ لطافٍ حانيهْ

ويسوء إن جاءَت به حوشيةٌ.. وزَبانيهْ.

قال أبو يارا:

* أما أنا فأرى الطعام اللذيذ لذيذاً ولو قدمه لي «نادل» يشبه نتنياهو!!

جبرانيات

كتب الأديب الشهير جبران خليل جبران إلى حبيبته مي زيادة، وقد كانت حبيبته بالمراسلة (أخبرني مَنْ أثق فيه أن حبَّ المراسلة قد انقرض مع تفشي الهاتف الجوال)، كتب يصف وضعه الصحي:

أي مي، في العامين الماضيين قد حَمَّلت جسدي فوق طاقته، فكنت أصوّر ما دام النور، وأكتب حتى الصباح، وألقي المحاضرات، وأختلط بجميع أنواع البشر - وهذا العمل الأخير هو أصعب شيء أمام وجه الشمس (تعليق من أبي يارا: صدق جبران!) وكنت إذا جلست إلى مائدة الطعام أشغل نفسي بالكلام والمتكلمين حتى تحضر القهوة فأتناول منها الشيء الكثير وأكتفي بها طعاماً وشراباً.

قال أبو يارا:

* من أسخف الأوهام التي يشيعها الشعراء أن فقدان الشهية من علامات النبوغ وهو في حقيقته من علامات المرض..

ولعل المشكلة في «النادل» الذي لم يكن شكله مثل «نادية»!

شيراويات

قال أبو يارا:

* كنا في مؤتمر من مؤتمرات الجامعة العربية التي لا تنتهي، ووقف أبو أحمد يوسف الشيراوي خطيباً - وأنا كلما وقف معاليه خطيباً أمسكت قلبي بيدي - فخطب خطبة بتراء بدأها فقال عن الجامعة العربية، في حضور حشد من موظفيها: «هذه الجامعة مصابة بمناعة وحصانة، مناعة ضد الموت، وحصانة ضد التطور».

ساد القاعة صمت ووجوم.. وسالت بعض الدموع.

عند انتهاء الخطبة جاءني أبو أحمد باسماً وقال:

- بغيت أهاجم الجامعة.

قلت له:

- بغيت؟!

قال:

- بغيت!

.. وأطلقها أبو أحمد مثلاً!

وقال أبو يارا:

* كنا في مؤتمر من مؤتمرات الصناعة التي لا تنتهي، وتحدَّث أمين عام المنظمة حديثاً طويلاً ضمّنه منجزات المنظمة، واستغرق أكثر من ساعتين، وقف أبو أحمد للتعليق والتعقيب، وتوقع الجميع سماع الثناء المعتاد، إلا أن أبا أحمد قال:

«تكلم الأمين العام طويلاً، فوصل كلامه إلى قلوبنا، ولكنه لم يصل إلى عقولنا»..

ساد الصمت.. وأصيب الأمين العام بنوبة من الصرع المصحوب بالتشنج والصراخ والعويل..

جاءني أبو أحمد مبتسماً وقال:

- بغيت أهاجم الأمين العام.

ورَدَّتْ القاعة كلها:

- بغيت ؟!!

عن الألقاب ... وأشياء أخرى[1]

تنبيه ذوي الألباب

إلى ضرورة الحفاظ على الألقاب

أصبت برعشة من الخوف وأنا أقرأ أن حكومة لبنان المُوقّرة قرَّرت إلغاء الألقاب. لا «فخامة» بعد اليوم، ولا «دولة»، ولا «معالي»، ولا حتى «سعالي» (وهذه كلمة نحتها اللغويون في المملكة للإشارة إلى أولئك الذين تجاوزوا مرحلة «السعادة» ولم يصلوا، بعد، إلى مرتبة «المعالي»، ومن سار على الدرب وصل). لِمَ رعشة الخوف من تقليد ديمقراطي جميل يذيب الفوارق بين عباد الله؟ أقول لكم السبب:

الألقاب قد تشغل حاملها عن إلحاق الأذى بالناس. وأضرب لكم بعض الأمثلة: الرجل الذي أباد عشرات الملايين في ألمانيا لم يكن يحمل أي لقب، كان مجرّد «فوهرر». والرجل الذي أباد، بدوره، عشرات الملايين في أوربا كان ينفر من الألقاب، كان مُجرّد «رفيق». و«صاحبنا» في بغداد ليس له من لقب، أعني من لقب رسمي، سوى «السيّد الرئيس».

ثمة سبب آخر يجعلني أتخوّف من إلغاء الألقاب. في الشقيقة الحبيبة مصر كان بعض الناس، قلة قليلة، من الباشوات، وبعض الناس، قلة أكثر قليلاً من الأولى، من البكوات. ثم جاءت الثورة، وألغت الألقاب. ماذا حدث؟ هل انفجرت المساواة بين عباد الله الذين

---

(١) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٧م)

خُلقوا متساويين كأسنان المشط؟ لا! لم يحدث شيء من هذا. ماذا حدث إذن؟ تحول ٩٠٪ من الناس إلى باشوات، والبقية، من المعذبين في الأرض والمسحوقين، إلى بكوات.

وهذا ما سيحدث في لبنان بعد فترة من الزمن. سوف تسمع في بيروت من يقول لسائق التاكسي:

- تسمح يا فخامة الشوفير بإيصالي إلى المطار؟

ويرد فخامته:

- أهلين بعبدو الفرَّان، تكرم عين معاليكم!

وقبل أن أترك هذا الموضوع أقول لمن لا يعرف أن كاتب هذه السطور كانَ في مرحلة الديناصورات، من أصحاب المعالي. كان الكثير من المراجعين البسطاء لا يعرفون الفرق بين لقب ولقب ولا يفرقون بين اللقب الأعلى واللقب الأدنى. وكان هؤلاء يلجأون إلى الاحتياط عند كتابة المعاريض. الكثير من الرسائل التي كانت تصلني كانت «موجهة إلى «حضرة جناب سيادة سعادة المكرم السيد الأستاذ الدكتور معالي...». يا للنشوة التي كانت تنتابني! يشعر الإنسان أن له «حضوراً» طاغياً «وجناباً» عالياً، وأنه يتمتع «بالسيادة» المطلقة علاوة على «السعادة» العارمة، وأنه، بعد ذلك كله، «أستاذ» و «دكتور» وجمع «المعالي» من أطرافها. كنت أقرأ وأضحك من الأعماق. ألم أقل لكم، قبل قليل: إن الألقاب تشغل حاملها عن إلحاق الأذى بالناس؟!

حوار الألفية القادمة

معي

س: ما هي عيوبك؟

ج: الطيبة والسخاء والشجاعة والشهامة والتواضع.

س: وما هي نقاط ضعفك؟

ج: الإيثار والتسامح والبعد عن الأضواء.

س: ما رأيك في التطبيع؟

ج: أعتقد أن الجو جميل جداً هذا الصباح.

س: مَنْ هو شاعرك المُفضَّل؟

ج: الأستاذ يوسف الشيراوي.

س: ومَنْ هي شاعرتك المفضَّلة؟

ج: بنت المستكفي، التي كانت تلد بكثرة.

س: ماذا ستفعل لو مُنِحْتَ جائزة نوبل؟

ج: أوافق على الفور.

س: كيف تكتب؟

ج: أضع قلم الحبر، بعد أن أملأه حبراً، في يدي اليمنى، وآخذ نفساً عميقاً، وأصرخ: "يارب تجي في عينو"، وأبدأ.

س: وكيف تَنْظمُ الشعر؟

ج: في معظم الحالات، وأنا واقف على رجل واحدة.

س: مَنْ هو مطربك المفضَّل؟

ج: الأستاذ يوسف الشيراوي.

س: هل أنت من أنصار العولمة؟

ج: أنا من أنصار الضولمة.

س: وهل تحبّذ الخصخصة؟

ج: أفضِّل البصبصة.

س: وماذا عن الخوصصة؟

ج: استحي يا مدموزيل!

س: ما هو الكتاب الذي تقرأه حالياً؟

ج: "البامية والباذنجان. . في تحضير الجان"، وهو من تأليف الأستاذ يوسف الشيراوي.

س: أين تَحْلِق شعرك؟

ج: أحلق (ما تبقى من) شعري في صالون الحلاقة في فندق "الدورشستر". وأخرج كل مرة محمَّلاً بالكآبة: نتيجة القصص المأساوية التي يرويها الحلاق اليوناني.

س: ألا تستعمل الباروكة؟

ج: يا دمك!

س: أين تفصِّل بدلك؟

ج: لا أفصِّلها. تشتريها أم العيال من محل في "نايتزبريدج" متخصص في بيع الملابس لمعتدلي القوام.

س: مَنْ هو مثلك الأعلى في الأناقة؟

ج: الأستاذ يوسف الشيراوي.

س: شخصيتك التاريخية المُفضَّلة؟

ج: الشاويش عطية.

س: كم وزنك؟

ج: سوف أجيب عن هذا السؤال عندما أطلب منك أن تحمليني على أكتافك.

س: ما هي أكلاتك المفضَّلة؟

ج: الكبسة فالمكبوس فالمحمّر فالمرْبين فالجريش فالسليق فالمطازيز. فيما عدا ذلك، أنا على رجيم.

س: كيف تجد الوقت الكافي للكتابة؟

ج: بالاستغناء، نهائياً، عن الأكل والشرب والنوم والراحة والعمل والكلام والتنفس والمقابلات الصحفية.

س: ماهو شعورك ونحن ندخل الألفية الجديدة؟

ج: نفس شعوري ونحن لم ندخلها؟

س: سؤال أخير نريد الإجابة عنه بكل صراحة: وجهك التلفزيوني المُفضَّل؟

ج: الأستاذ يوسف الشيراوي.

* * *

رسالة شبه مفتوحة

إلى عذراء الصيف الأسطورية

كُنتُ قلتُ لكِ، أيام مراهقة الشمس وصبا القمر وطفولة المساء: إن الأشياء لا تدوم على حالها، إن الأوراق تتساقط من الشجر، وإن العنادل تتعب من الصداح، وإن المواسم تتغيّر.

كنتُ قلتُ لكِ، أيام الجنون اللذيذ: أن الجنون، قصير العمر، يأتي بغتة، ويذهب بغتة، وبعد أن يرحل الجنون تأتي الحكمة مُحمَّلة بألف عذر وعذر. آه! الأعذار التي تزدهر، بلا إنذار، كالأعشاب الشيطانية.

وكنتِ تقولين، -كان ذلك قبل أن تتعلمي بلاغة الإيجاز-: إنه لا شيء يستطيع أن يمسَّ هذه الحديقة التي تضمُّنا، الحديقة التي

تشتعل بالورود الحمراء وبأزهار الدفاديل - لا شيء!

أنشدتُكِ، في تلك الأيام المشتعلة، القصيدة التي ترجمتُها لبيرون:

إذن، لن نهيم معاً في الدروبِ

ونُوغل في الليل حتّى السَحرْ

برغم الحنين بهذا الفؤاد

ورغم البريق بذاك القمرْ

* *

فقد أكل السيفُ من غمده

وقد أضنت الرُوح قلبي الجريحْ

فلا بُدّ للقلب من هدأةٍ

ولا بُدّ للحُبّ أن يستريحْ

* *

قصيرٌ هو الليل.. ليل الغرام

قريبٌ هو الصبح.. صبحُ البشرْ

ولكننا لن نجوب الدروب

ونوغل تحت شعاعِ القمرْ

لم تعجبكِ الفكرة: أن يتعب القلب فلا يخفق مع خفقان القمر. كنت، أيتها الأميرة الأسطورية، تقولين وقتها: إن الحنين لا يذبل، وإن الزهور لا تذبل. وكنت أستمع إليك، وأنزف دماً من الداخل، وأنا أذبل.

هناك، حقاً أشياء لا تذبل. أعرف وردة لا تذبل. وتعرفينها أنت لأنها جاءت هدية منك ذات صباح دافئ. وأنت تعرفين أنها لا تذبل لأنها مصنوعة من الفضة. الوردة الفضية لا تزال كما كانت، ولكن ماذا عن العبير؟ هناك بقايا البقايا، ذكرى الأصابع التي حملتها لي ذات يوم.

كنت تتحدثين عن «السحر» وعن «العين». «السحر» الذي يشير بيده فيرقص القلب. و «العين» التي تنظر فتوقف دقات القلب. لم أشأ، وقتها أن أبوح لك بسرٍّ تعلمته منذ قرون من ساحرة عجوز: «السحر» لا يعمل إلا في الصيف، و «العين» لا تنشط إلا في «الخريف».

أنظر إلى وردتك الفضية وأبتسم. أتصوركِ، وردتي الحقيقية، بعيداً عني تمنحين الناس أجمعين رعشات البهجة والأمل والسعادة. لكِ، ولأزهار الدفاديل، مودّتي التي لا تذبل.

المتنبي يجيب عن
أسئلة سالم الدوسري(١)

س١: كيف تجد نفسك بعد مسلسل «شقة الحرية»؟

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا ∴ فلما دهتني لم تزدني بها علما

س٢: تألقت وزيراً.. وتفوقت سفيراً، وأبدعت أديباً وشاعراً، يا ترى ما هو السر في ذلك؟

سبحان خالق نفسي .. كيف لذّتها ∴ فيما النفوس تراه غاية الألم

س٣: لنكن صرحاء... ما سبب لمعان نجمك؟

أُعادَى على ما يجلب الحب للفتى ∴ وأهدأ .. والأفكار فيَّ تجولُ

س٤: كيف تفسّر ظاهرة إقبال الصحفيين عليك؟

إليّ لعمري قصدُ كل عجيبةٍ ∴ كأنيّ عجيبٌ في عيون العجائب

س٥: كنت قد كتبت مقالة أطالب فيها بترشيحك لأمانة الأمم المتحدة ورفضتها من خلال رد شخصي موجه إليّ.. لماذا ترفضها؟

من أطاق التماس شيءٍ غلاباً ∴ واغتصاباً.. لم يلتمسه سؤالا

---

(١) وضع الأسئلة الأستاذ سالم الدوسري الكاتب بجريدة الوطن وجميع الإجابات من شعر المتنبي - وقد نشرت سنة (١٩٩٧م).

س٦: أذكر أنني قد طلبت في مقالتي أنه في حالة تعيينك أميناً عاماً للأمم المتحدة، أكون أنا المتحدث الرسمي باسمك - هل ستوافق على هذا الطلب؟

وقد وجدت مكان القول ذا سعة ∴ فإن وجدت لساناً قائلاً فَقُلِ

س٧: لنفترض أن الإرادة الدولية قد قررت تعيينك في هذا المنصب فماذا سيكون أول قرار تتخذه؟

فارم بي ما أردت مني فإني ∴ أسَدُ القلب آدميُّ الرُواءِ

س٨: كيف هي علاقتك بالإعلام البريطاني؟

كلامُ أكثر من تلقى ومنظره ∴ مما يشقّ على الآذان والحَدقِ

س٩: وكيف هي علاقتك بالمذيع البريطاني الذي أجرى معك حواراً لبرنامج «بانوراما» في محطة BBC؟

ما كنت إلاّ ذباباً ∴ نفته عنه . مذبّهْ

س١٠: لماذا تخفي نشاطك الخيري؟

وللنفسِ أخلاقٌ تدلُّ على الفتى ∴ أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا

س١١: هناك من يقترح إيجاد جائزة بإسمك للعمل الخيري.. ما رأيك؟

وتغضبون على منَ نال رفدَكُم ∴ حتى يعاقبَه التنغيصُ والمِنَنُ

س١٢: هل تسعى لأن تكون عميداً للسلك الديبلوماسي في بريطانيا؟

يقولون لي ما أنت في كل بلدةٍ ∴ وما تبتغي؟ ما أبتغي جلَّ أن يُسمى

س١٣: افترض أنها وصلت إليك .. ماذا ستفعل في حينها؟

تحقّر عندي همّتي كل مطلب ∴ ويقصر في عيني المدَى المتطاولُ

س١٤: كيف هي علاقتك بموظفي السفارة السعودية؟

أنتَ الحَبيب! ولكني أعوذ به ∴ من أكون مُحبًا غيرَ محبوبِ

س١٥: يلاحظ حضورك مبكراً للعمل قبل التاسعة صباحاً .. ألا ترى أن هذا الحضور المبكر يحرج بعض العاملين في السفارة؟

تريدين لقيان المعالي رخيصةً ∴ ولا بُدّ دون الشهد من إبر النحلِ

س١٦: عودة إلى روايتك الرائعة «العصفورية» من هي «ن» التي تهديها هذه الرواية - أريد إجابة مقنعة وليست ديبلوماسية.

وللسرّ مني موضع لا ينالُه ∴ نديمٌ .. ولا يفضي إليه شَرابُ

س١٧: وما هي حكاية «سندريلا» التي تغزلت بها في السفارة الكويتية؟

سهادٌ لأجفانٍ .. وشمسٌ لناظرٍ ∴ وسقمٌ لأبدانٍ.. ومسكٌ لناشقِ

س١٨: زوجتك أجنبية . . ألم تفكر في يوم من الأيام بالاقتران بسعودية.

إلام طماعيةُ العاذلِ ∴ ولا رأي في الحب للعاقلِ؟

س١٩: بصراحة .. بصراحة.. هل كنت «مقطّع السمكة وذيلها» عندما كنت في القاهرة؟

فما أمرّ برسم لا أسائله . . ولا بذات خمارٍ .. لا تريق دمي

س٢٠: لديّ إحساس بأنك ستعود وزيراً يوماً من الأيام .. ما رأيك؟

ومـا مـاضي الشـبـاب بمسـتـردٍ ∴ ولا يومٌ يمُرّ بمُسـتـعـادِ

س٢١: عموماً هي رغبة آمل أن تتحقق.

ما كلُ مـا يتمنّى المرءُ يدركه ∴ تجري الرياح بما لا تشتهي السُفنُ

س٢٢: هل صحيح أن بعض السفراء في بلاط سانت جيمس يحسدونك على تألقك؟

ماذا لقيت من الدنيا؟ وأعجبهُ ∴ أني بما أنا شاكٍ منه محسودُ

س٢٣: ماذا تشاهد من القنوات الفضائية؟

لا تلمني فـإنني أعـشق العـشّـ ∴ ـاق فـيـهـا يا أعـذَل العـُذّال!

س٢٤: كيف تقيّم ثقافة المذيع الرائع محمد رضا نصر الله؟

وسمعتَ بطليموس دارس كتبهِ ∴ متملّكاً .. متبدّياً .. مُتحضراً

س٢٥: وكيف تجد ثقافة كوثر البشراوي؟

ومـا التأنيثُ لاسـم الشمسِ عيبٌ ∴ ولا التـذكيرُ فخرٌ للهلالِ

س٢٦: هل صحيح أنك تحرص على متابعة أخبار MBC عندما تقدّمها تينا مجذوب؟

فـمـا لك تقـبلُ زورَ الكلام ∴ وقـدرُ الشـهـادة قـدرُ الشـهـودِ؟

س٢٧: يقولون إن سيارتك مليئة بأشرطة المطرب عمرو دياب. ما صحة هذه المقولة؟

إن الكِذاب الذي رُمِيت به ∴ أَهونُ عندي منَ الذي نَقلَهْ

س٢٨: من هي الممثلة إيمان التي ذكرتها في روايتك «شقة الحرية» هل لنا أن نعرفها؟

ذِكرُ الصبا .. ومراتع الآرامِ ∴ جلَبت حمُامي .. قبل يوم حمامي

س٢٩: هل سترشح لنيل جائزة نوبل للآداب؟

إنني أصيدُ البزاة ∴ ولكن أجلّ النجوم لا أصطادُهْ

س٣٠: البعض يحسدك على العلاقة الخاصة التي تربطك بوزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل .. ما نوع هذه العلاقة؟

وما كمدُ الحسّاد شيءٌ قصدته ∴ ولكنه من يَزحم البحر .. يَغرقِ

س٣١: لو أرسلت لك معجبة رسالة جاء فيها «أنا متيّمة بك» بماذا سترد عليها؟

لم يتركِ الدهر من قلبي ولا كبدي ∴ شيئًا تتيّمه عينٌ .. ولا جيدُ

س٣٢: وماذا لو كان معجباً . . وماذا ستقول له؟

وجائزةٌ دعوى المحبّة والهوى ∴ وإن كان لا يخفى كلامُ المنافقِ

س٣٣: وها أنا أقول لك: «أنا فعلاً متيم بك» .. فماذا أنت قائل لي؟

جعلتك في القلب لي عدّةَ ∴ لأنّك في اليد لا تجعلُ

س٣٤: هل أنت راضٍ عن أداء أكاديمية الملك فهد؟

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً ∴ كنقصِ القادرينِ على التمامِ

س٣٥: متى كانت آخر حالة حب عشتها؟

وما العشقُ إلا غِرّة وطماعهُ ∴ يعرّض قلبٌ نفسه فيصابُ

س٣٦: ما رأيك في هرولة بعض المثقفين العرب إلى إسرائيل؟

منْ يهُن يسهلُ الهوان عليه ∴ ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

س٣٧: بشكل عام.. ما رأيك في التطبيع مع إسرائيل؟

وهل تغني الرسائلُ في عدوٍ ∴ إذا ما لم يكُنْ ظُبىَ رقاقا؟

س٣٨: هل ممكن أن نراك في يوم من الأيام مُصافحاً بنيامين نتنياهو؟

واحتمال الأذى.. ورؤية جانيهِ ∴ غذاءٌ تضوى به الأجسامُ

س٣٩: كاثي إيفانز الصحفية البريطانية في صحيفة الجارديان لو طلبت لقاء صحفياً معك.. هل ستوافق؟

وربّما أشهدُ الطعام معي ∴ من لا يساوي الْخبزَ الذي أَكلهْ

س٤٠: ألم تتأثر عندما شاهدت الملاكم محمد علي كلاي وهو يرتعش أثناء حمله للشعلة الأولمبية؟

أبداً تستردّ ما تهب الدُنيا .. فياليت جُودها كَان بخلا

س٤١: ما هو أخطر قرار اتخذّته في حياتك؟

لا تلقَ دهرك إلاّ غير مكترثٍ .. ما دام يصحب فيه روحَك البَدنُ

س٤٢: ما هي آخر نكتة سمعتها؟

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ ∴ لولا مخاطبتي إيّاك.. لم تَرَني

س٤٣: هل تحب الأسئلة المباغتة؟

وكـثـيــرٌ من السـؤالِ اشـتـيــاقٌ ∴ وكـثـيــرٌ من ردّه تـعـليـلُ

س٤٤: بماذا تفكر الآن؟

فما لي وللدنيا ؟ طلابي نجومها ∴ ومَسعاي منها في شدوقِ الأراقمِ

س٤٥: ما سر عشقك للمتنبي؟

شاعـرُ المجد خـدنه شاعـرُ اللفظِ ∴ كلانا ربُّ المعـاني الدِّقاقِ

س٤٦: هناك من يقول إنك متنبي القرن العشرين.

إذا شاء أن يلهو بلحيةِ أحمقٍ ∴ أراه غباري ثم قال له «الحقِ!»

س٤٧: الأستاذ المتنبي لم يحقق حلمه، والتلميذ القصيبي حقق ما يطمح إليه هو وأستاذه.. هل تعتبر نفسك أنك أخذت بثأر معلمك؟

هبيني أخذتُ الثأر فيك من العدى . . فكيف بأخذ الثأرِ فيك من الحُمَّى ؟

س٤٨: أيهما أحبّ إليك وزارة الصناعة والكهرباء . . أم وزارة الصحة؟

لا أشرئبُّ إلى ما لم يفت طمعاً . . ولا أبيتُ على ما فات حسرانا

س٤٩: ما الذي يعجبك في الوطن؟

وكلُّ مكانٍ ينبت العزَّ طيّبٌ . . وكُل امرئٍ يولي الجَميل مُحبّبُ

س٥٠: ماذا تقول لجهاد الخازن؟

بأيّ لفظٍ تقول الشِعَر زِعنفةٌ ∴ تجوزُ عندَك .. لا عُربٌ.. ولا عَجَمُ!

س٥١: هل قرأت آخر إصدارات الأديب معمر القذافي؟

ومن الناس من يجوزُ عليه ∴ شعراءٌ . . كأنّها الخازِ بازِ!

س٥٢: الكتاب الأخضر لمؤلفه العقيد معمر القذافي يقول: «إن الرجل لا يحيض والمرأة تحيض» ما رأيك؟

خفِ اللهَ! واسترْ ذا الجمال ببرقع ∴ فإن لُحتَ حاضَتْ في الخدورِ العواتقُ

س٥٣: ألا تتفق معي بأنك رجل ساخر والديبلوماسية تفرض عليك بعض القيود؟

ولما صارودّ الناس خِباً ∴ جزيتُ على ابتسامٍ .. بابتسامِ

س٥٤: ما هو آخر فيلم عربي شاهدته؟

للهو آونةٌ تمرّ كأنّها ∴ قُبَلٌ . . يزوّدها حبيبٌ راحلُ

س٥٥: هل ستحرص على مشاهدة فيلم ناصر ٥٦ لا سيّما وأنك التقيت بجمال عبدالناصر ذات مرة وكنت معجباً به؟

سقى اللهُ أيام الصبا ما يسرُّها ∴ ويفعل فعلَ البابليّ المُعتّقِ

س٥٦: بالمناسبة، هل ما زلت معجباً بعبد الناصر؟

تملّكها الآتي تملّك سالبٍ ∴ وفارقها الماضي فِراق سليبِ

س٥٧ : هناك من يقول: إن حضور القصيبي لأي مناسبة يضفي على المناسبة طعماً خاصاً ترى ما السرّ في ذلك؟

خذُ ما تراه.. ودع شيئاً سمعت به ∴ في طلعة البدر ما يُغنيك عنْ زحَلِ

س٥٨ : يقولون: إن أي شخص يدخل مكتبك يخرج راضياً . . هل هذا صحيح؟

تظنّ ابتساماتي رجاءً وغبطةً ∴ وما أنا إلا ضاحكٌ من رجائيا

س٥٩ : سمعت أن هناك علاقة خاصة تربطك بالشيخ عبدالعزيز بن باز. هل لي أن أعرف شيئاً عن هذه العلاقة؟

وفي تعبٍ من يحسدُ الشمسَ نورها ∴ ويجهدُ أن يأتي لها بضريبِ

س٦٠ : يلاحظ تبادل المقالب بينك وبين صديقك يوسف الشيراوي. لماذا؟

أصادقُ نفسَ المرء من قبلِ جسمهِ ∴ وأعرفُها . . في فعلهِ . . والتكلّمِ

س٦١ : لو هاتفك الكاتب أنيس منصور وقال لك بالحرف الواحد: «أنا في طريقي إلى تل أبيب» .. فماذا ستقول له؟

ولا تطمعنّ من حاسدٍ في مودّةٍ ∴ وإن كنت تبديها له .. وتُنيلُ

س٦٢ : لقاءاتك ببعض الزعماء وما دار من حديث معهم.. تفكر في طرحه من خلال كتاب.. متى سيرى النور؟

يستخبرُونَ فلا أعطيهم خبري ∴ ولا يطيش لهم سهمٌ من الظننِ

س٦٣ : مَنْ أقرب هؤلاء الزعماء إلى قلبك؟

إذا نحن سميّناك خلنا سيوفَنا ∴ من التيه في أغمادها تتبسّمُ

س٦٤: هل يضحكك الفنان الراحل نجيب الريحاني؟

ومَنْ سرّ أهل الأرض .. ثم بكى أسَى ∴ بكى بعيونٍ سرّها وقلوبِ

س٦٥: وماذا عن الفنّان عادل إمام؟

ومثلك يُؤتى من بلادٍ بعيدةٍ ∴ ليُضحك ربّات الحداد .. البواكيا

س٦٦: بعد لندن. . أين ستكون محطتك المقبلة؟

أعزّ مكانٍ في الدُّنا سرجُ سابحٍ ∴ وخيرُ جليسٍ في الأنام كتابُ

س٦٧: ولكني أراك في موقع آخر.

قــد ســمــعنا مــا قُلتَ في الأحــلامِ ∴ وأنلناك بدرةً في المنامِ

س٦٨: ماذا تقول للشيخ سعود الناصر الصباح وزير الإعلام الكويتي؟

أنتَ طول الحياة للروم غازٍ ∴ فمتى الوعدُ أن يكونَ القفولُ؟

س٦٩: والشاعر عبد الرحمن رفيع؟

ذُكِر الأنامُ لنا فكان قصيدةً ∴ كُنت البديعَ الفَرد من أبياتِها

س٧٠: وعثمان العمير رئيس تحرير الشرق الأوسط؟

فشرّقَ حتى ليس للشرقِ مشرقٌ ∴ وغرَّب حتى ليس للغربِ مغربُ

س٧١: وللدكتور عبدالله مصري؟

فإن قليلَ الحُبّ بالعقلِ صالحٌ ∴ وإن كَثير الحُبّ . . بالجهلِ فاسدُ

س٧٢: والشاعر الأمير بدر بن عبدالمحسن؟

قطف الرجلُ القولَ وقت نباتهِ ∴ وقطفتَ أنتَ القولَ لمّا نوّرا

س٧٣: وممدوح الليثي؟

الأمرُ لله! رُبّ مجتهدٍ ∴ ما خَاب إلا لأنه جاهدْ

س٧٤: بالمناسبة، هل صحيح أنك استفدت مادياً من مسلسل «شقة الحرية»؟

وما رغبتي في عسجد أستفيدُهُ ∴ ولكنها في مفخرٍ استجدُّهُ

س٧٥: وماذا تقول للكاتبة الكويتية ليلى العثمان؟

أهذا جزاءُ الصدق إن كنتُ صادقاً؟ ∴ أهذا جزاءُ الكِذْب إن كنتُ كاذبا؟

س٧٦: والكاتب عبدالله الجفري؟

بادِ هواكَ صبرتَ أم لم تَصبرا ∴ وبُكاكَ إن لم يجر دمعك.. أو جرى

س٧٧: مَنْ تعتقد وراء انفجار الخُبَر؟

لا أدبٌ.. عندهم.. ولاَ حسبٌ ∴ ولا عُهودٌ لهم.. ولا ذممُ

س٧٨: بالمناسبة سلسلة الإرهاب هذه ألم تستفزك لتخرج بعدها بقصيدة هجاء لهؤلاء الإرهابيين؟

صَغُرتَ عن المديح فقلُتَ أهجي ∴ كأنّك ما صغرتَ عن الهجاءِ

س٧٩: العراق أعلن مؤخراً عن وجود أسرى كويتيين على قيد الحياة.. لو كان بيدك سلطة ماذا أنت فاعل؟

أفكّر في معاقرة المنايا ∴ وقودْ الخيْل مشرفةِ الهوادي

س٨٠: لو رشّحك أهالي الأسرى مندوباً عنهم للتفاوض مع صدام حسين لإطلاق سراحهم.. هل ستذهب إلى بغداد؟

ومطالبٌ فيها الهلاك أتيتُها ∴ ثَبْت الجنان.. كأنني لم آتِها

س٨١: هل تعتقد أن اللقاء بصدام سوف يكون لقاء حاراً لا سيما وأنه بينكما جولات تستحق الذكر؟

لا يخدعنّك من عدوٍ دمعَه ∴ وارحم شبابَك من عدوٍ تُرحمُ

س٨٢: الكاتب السعودي عبدالله الجعيثن قال في لقاء معه إن الاحتفاء «بشقة الحرية» سببه صاحبها وليس الشقة نفسها. ما رأيك؟

وإني لأعشَقُ من أجلكمْ ∴ نحولي . . وكلَّ فتىً ناحلِ

س٨٣: عودة إلى رواية العصفورية . . ما السبب في دخول البروفسور المصحات العقلية؟

ذُو العَقْل يشقى في النعيم بعقلهِ ∴ وأخُو الجهالة في الشقاوة ينعمُ

س٨٤: حدثنا عن «دفاية» الجنيّة.

تفانى الرجالُ على حبِّها ∴ وما يحصلون على طائلِ

س٨٥: هل تعتقد أن وصفة البروفسور الخاصة بالقضاء على إسرائيل ستطبق في عربستان ٢٠٠٠؟

وما تنفع الخيلُ الكِرام ولا القنا ∴ إذا لم يكن فوق الكِرام . . كرامُ

س٨٦: أيّهما أحبُّ إلى قلبك صدام حسين أم شيمون بيريز؟

فلم أر ودّهم إلاّ خداعاً ⁂ ولم أرَ دينهم إلا نفاقا

س٨٧: ألا تلاحظ معي أن الأفراد السعوديين لا يحسنون التعامل مع الإعلام الغربي؟

ملاعبُ جنةٍ لو سار فيهَا ⁂ سليمانٌ.. لسار بترجمانِ

س٨٨: ما رأيك في أداء المنتخب السعودي الأوليمبي؟

جمح الزمان.. فلا لذيذٌ خالصٌ.. مما يشوبُ.. ولا سرورٌ كاملُ

س٨٩: هل تعتقد أن الآثار العربية والإسلامية خُدمت من قبل MBC؟

بليت بِلى الأطلال.. إن لم أقف بها.. وقوف بخيلٍ ضاع في الترب خَاتمهْ

س٩٠: هل تفكّر جديّاً في العودة إلى التدريس؟

بها نبطيٌ من أهل السواد.. يعلّم أنساب أهلِ الفلا

س٩١ : إصدارك المقبل.. ماذا سيكون عنوانه؟

وعندي لك الشُّرد السائراتُ.. لا يختصصن من الأرض دارا

س٩٢: ماذا تنتظر الآن؟

وما قضى أحدٌ منها لُبانَته.. وما انتهى أربٌ إلاّ إلى أربِ

س٩٣: في إحدى المناسبات أشاد ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز بلغتك الإنجليزية وقال: كم أتمنى أن تكون لغتي العربية شبيهة بلغة القصيبي الإنجليزية. ما رأيك بهذه الإشادة؟

رأيتك توسعَ الشعراءُ نيلاً ∴ حديثهم المولّد .. والقديما

س٩٤: أهناك علاقة خاصة تربطك بولي العهد البريطاني؟

وقيّدتُ نفسي في ذراك محبّةً ∴ ومَنْ وجد الإحسانَ قيداً.. تقيّدا

س٩٥: ينتابني شعور بأنك حزين على الأميرة ديانا - ألم تفكر في إهدائها قصيدة ترثي فيها لحالها؟

يا عاذل العاشقين دع فئةً ∴ أضلّها الله كيف ترشُدها؟!

س٩٦: لو استضافك لاري كنج في برنامجه مَنْ سيتفوق على الآخر أنت أم هو؟

ودَعْ كل صوتٍ غير صوتي.. فإنني ∴ أنا الطائرُ المحكيُّ.. والآخر الصدى

س٩٧: في الكويت بعض الغضب فيما يخص شخصية ليلى في روايتكم الرائعة «شقة الحرية» ويبدو أن الغضب منصب على شخصية ليلى في المسلسل وليس في الرواية - ماذا تقول لهؤلاء الغاضبين؟

وهاجى نفسه من لم يُميّزْ ∴ كلامي من كلامِهم الهُراءِ

س٩٨: وماذا تقول للأسرى الكويتيين؟

حشاشةُ نفسٍ ودعتْ يوم ودعوا ∴ فلم أدرِ أيّ الظاعنين أُشيّعُ

س٩٩: ولسالم الدوسري؟

أنت طوراً أمـرّ من ناقـع السّمِ ∴ وطوراً.. أحلى من السلسـالِ!

س١٠٠: وأخيراً - ماذا تقول لقارئ الوطن؟

ازلْ حسَد الحُسّاد عني بكَبْتهم ∴ فأنت الذي صيّرتَهم ليَ حُسّدا

عن القُبَل "الحساوية" وأشياء أخرى[1]

في جحيم من القُبَل "الحساوية"

كنت أعتقد أنني أعرف (نظرياً) القليل عن شؤون القُبَل وشجونها حتى فوجئت بكتاب أدركت بعد قراءته أن معلوماتي في القُبَل تحت الصفر.. بكثير!

اسم الكتاب «القُبْلة»، وهو من تأليف الباحثة الدكتورة فوزية الدريع التي أرادت - والله أعلم بنواياها- تزويد المكتبة العربية بموسوعة عن القبلة.

في الكتاب معلومات وإحصائيات علمية دقيقة، وأبيات شعر منتقاة، منثورة في الكتاب لتخفيف وطأة الأرقام، وفيه بالإضافة إلى العلم والشعر مجموعة من العجائب والغرائب:

* هل سمعت، عزيزي القارئ، «بالقبلة الكهربائية»؟ لم تسمع؟ ولا أنا!

اعلم -وفّقك الله- أن القبلة الكهربائية «اختراع أمريكي ... وتقوم على شحن الجسم بشحنة كهربائية وتفريغها في الثاني بتلامس الشفاه». اللهم، حوالينا ولا علينا!

* وهل سمعت، عزيزي القارئ، «بالقبلة المائية»؟ لم تسمع؟ ولا أنا!

(١) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٨م).

اعلم -حفظك الله- أنها تُسمّى أيضاً، قُبْلة هاواي، لاشتهار أهل هاواي بها، وهذه القبلة تتم «بأخذ نفس عميق قبل الشروع فيها وإلصاق الشفتين والماء جارٍ، والانفكاك في حالة قطع النفس». ماذا أقول؟ إني أغرق!

* وهل سمعت، عزيزي القارئ، «بالقبلة الحساوية» ؟ أي والله «الحساوية»!

إذا كنتُ - والإحساء مسقط رأسي - لم أسمع بها فالأرجح أنك، بدورك، تجهلها. ما هي هذه القُبْلة؟ تقول الباحثة: إن القُبْلة «تتم بتكرار تقبيل منطقة واحدة بشكل مركّز متواصل وبدرجة سرعة تختلف من شخص لآخر». ولماذا اختارت المؤلفة لهذه القُبْلة هذا الاسم؟ السبب -والعهدة على الدكتورة- أنها «طريقة التقبيل الاجتماعي بين أهل منطقة الأحساء». ولا أدري هل من واجبنا، معشر الحساوية، أن نشكر المؤلفة الفاضلة أو نحتج عليها؟!

وتصف المؤلفة القُبْلة في الحضارات المختلفة ملاحظةً «أن الرجل الإنجليزي أقل رجل يعطي قبلة اجتماعية لرجل آخر. حتى ولو كانت على الخد..».

عندما انتهيت من قراءة الكتاب أويت إلى فراشي حيث تلقفني حلم مرعب: رأيت فيما يرى النائم أنني في وسط ميدان «بيكاديللي» وأن «القُبْلة الحساوية» قد تفشّت في لندن بشكل وبائي.. قمت وأنا أرتجف كمن أصيب بقبلة كهربائية، وأوشك أن أختنق كمن يمارس

قبلة مائية..

يا فوزية الدريع!

سامحك الله!

ورزقك نقّاداً لا يؤمنون «بالقُبْلة الحساوية»!

القشطيني .. وشعراؤه الغاوون

جمع صديقنا الظريف خالد القشطيني ما كتبه عن «الشعراء في إخوانياتهم» في عموده الشهير بالشرق الأوسط الغرّاء، جمعه في كتاب لطيف، سهل الحمل والهضم.

ومن أظرف ما جاء في هذا الكتاب قولنا في صديقنا يوسف الشيراوي عندما تلقّى من جلالة ملكة بريطانيا وسام القائد الأعظم للإمبراطورية البريطانية:

أجبني يا ابن شيراوي
«أسَيْراً» صرت أم «لوردا»؟
وهل سرتَ مع الفرسان
تحمي الهندَ .. والسندا؟
وهل ربطوك فوق الساق
ربطاً أحكم الشَدّا؟

رأيتك تركب «الحنطور»..

في الموكبِ مُعتدًّا

كأنك «باليوزُ»[1] الهند

إذ يستعرض الجُندا

ومن ألطف ما جاء في الكتاب قولنا نهجو آلة الرد على الرسائل التليفونية، المُسمّاة عند الفرنجة «الأنسرنج ماشين»:

أيّ الرسائل تستطيع وصولا

ولديك بوّابٌ ينام قليلا؟

أقعى على التليفون كلباً ضارياً

لا شاعراً يخشى ولا مسؤولا

يا أنتِ! هل غولٌ جهازك؟ إنه

بلعَ الرسَائل .. ما أشدّ الغولا

قلنا له: «الأمرُ أصبح عاجلاً»

فأجابنا: «هي لا تحبّ عجولا!»

قلنا له: «شيءٌ خطيرٌ طارئ»

فأجابنا: «عُذر السنين الأولى»

لُعنَ الذي اخترع الجهاز .. وسلَّه

سيفاً على عنق العباد صقيلا

(١) «الباليوز» كلمة خليجية دارجة مشتقة من أصل أوروبي، تعني: المقيم السياسي البريطاني.

هذا ومن الجدير بالذكر أن في الكتاب أشعاراً ظريفة أخرى لشعراء ظرفاء آخرين!

غزل في جبنة حسناء

أهدانا الصديق الأستاذ جهاد الخازن، لسبب لا نعرفه، كتاباً بالإنجليزية اسمه «شعرٌ رديء جداً» يضم مختارات من الشعر التعيس..

وها نحن أولاء، بدورنا، نتحف القرّاء بمقطوعة قالها شاعر كندي يتغزل في قطعة جبن هائلة يتجاوز وزنها سبعة آلاف رطل:

لقد رأيناك .. يا مليكة الأجبان ..

مستلقية .. مسترخية في راحة.

يداعبك نسيم المساء برقة..

ولا يجرؤ الذباب على مسّ جسدك الجميل..

قريباً، سوف تذهبين بثيابك الزاهية..

إلى ذلك المعرض الإقليمي العظيم ..

كم من حبيب سيعجب بك..

في مدينة «تورنتو».

قال كاتب هذه السطور:

يا أهل الحداثة!

هذه صدمة الحداثة الجبنية!

بحتريات

ومَنْ لي؟!

يعيب الغانياتُ عليَّ شيبي ∴ ومَنْ لي أن أُمتّع بالمعيبِ؟!

منتهى التواضع

عجبت له لم يَزهُ عجباً بنفسه ∴ ونحن به نختالُ زهواً ونُعَجبُ

قليل من البارانويا

أمّا العُداة فقد أروك نفوسهم ∴ فاقصد، بسوءِ ظنونك، الإخوانا!

تفاؤل

ما كان في عقلاء الناس لي أملٌ ∴ فكيف أمّلتُ خيراً في المجانينِ

"راجعنا بكرة!"

وأكثرُ ما لسائلهم لَديهم ∴ إذا ما جاء . . قَولُهم «تعودُ!»

نقد الشعر

فلا بُورك الشعر من صنعةٍ ∴ ومَنْ قيل فيه. . ومَنْ قَالهُ!

شيراويات

حدثنا الراوي. أبو الحزاوي. بقصة واقعية من قصص صديقنا الفلكي الكيماوي. الأستاذ يوسف الشيراوي. قال:

كان يا ما كان. في سالف الأزمان. أن اجتمع في البحرين وزراء الصناعة. يبحثون في تصنيع البضاعة. وجاء أبو أحمد وجلس في مقعد الرئيس. وزلزل الوزراء بخطاب بئيس. وأراد أن يستمر في الرئاسة. فقال له وزير ذو كياسة: «هناك نقطة نظام، وبالنظام يجب الالتزام».

قال أبو أحمد: «هات ما لديك» وقال في نفسه: «حسبي الله عليك!» قال الوزير: «يقضي النظام أن تكون الرئاسة دورية. فكيف اغتصبتها بهذه الكيفية؟ انزل - معاليكم! - من المنصة. فليس لكم في الرئاسة حصة. وبموجب المادة الأولى من الفصل الثاني. يجب أن تكون الرئاسة لمعالي الوزير فلان الفلاني».

فغضب أبو أحمد غضباً شديداً. حتى قلنا: راح المعترض شهيداً. قال للوزير المعترض: «يا معالي الغشيم! لا شك أنك في حاجة إلى تعليم. اعلم أننا في الخليج بحَّارة وبدوان. ولا نؤمن بالبروتوكول بين الإخوان. والأمور عندنا تمشي بالهون. بدون أنظمة ولا قانون. وقد أخذت الرئاسة من باب الميانة. فاجلس من فضلك وخلك تكانة».

قال الوزير المعترض: «وما الميانة؟» قال أبو أحمد: «هي العشم يا سنطوانة!». قال الوزير المعترض: «فما التكانة؟» رد أبو أحمد: «هي الرزانة. وعدم تعريض نفسك للإهانة». ثم التفت أبو أحمد إلى الوزراء. وقال: «أنا الرئيس غضب من غضب وشاء من شاء. وأقسم بالله العليّ العظيم. إني جالس على هذا الكرسي لا أريم».

تعطل المؤتمر عشر ساعات. وكثرت المداولات والاتصالات. واتصلت الحكومات بالحكومات. وبُذلت المساعي الطيبات. وعاد المؤتمر إلى الانعقاد. وأبو أحمد في المنصة كعنتر بن شداد. وهنا خضع الوزراء للأمر الواقع. وقبلوا هذا المقلب الصاقع. قال الراوي: «وهكذا أصبح أبو أحمد الفتوّة. رئيس المؤتمر بالقوّة».

وأضاف الراوي أن أبا أحمد تنحنح وسعل وأخرج قلمه الأحمر ولوّح به في الفضاء ثم أنشد ارتجالاً:

«أنا ابن جلاً وطلاعُ الثنايا» ∴ على كرسي الرئاسة .. أجلسوني

فإني بالرئاسة مستهامٌ ∴ وإني في الرئاسة .. ذو فنونِ

تعودّت الرئاسة طول عمري ∴ فكيف من الرئاسة تحرموني؟

بقانونٍ سخيفٍ سطَّرتْهُ ∴ بيروقراطية عميا العيونِ

سأرأسكم أبيتم أو رضيتم ∴ فهيا نبتدي .. لا تعطلوني!

منطق

قال راجي عفو ربه كاتب هذه السطور:

منطـقُ الحـب منطـقٌ مقـلوُب ∴ رُبّمـا يهجُـر الحبيبَ الحـبيـبُ

رُبّما ينكرُ المشـوقُ غـرامـاً ∴ وضلوعُ المشـوقِ كونٌ يـذوبُ

ربما نلتقي .. ويحسـب جمـعٌ ∴ حولنا . . أنني البعيـدُ الغـريبُ!

* * *

نزاريات .. ودبلوماسيات .. وفوتبوليات[1]

نزاريات

الضجة التي أثارها الشاعر الكبير نزار قباني -رحمه الله- لم تنتهِ بموته، ولا أتوقع أن تنتهي.

الشعراء لا يولدون إلا عندما يموتون، ولا تتضح شاعريتهم إلا بعد عشرات السنين من موتهم، ولا تظهر عبقريتهم إلا بعد مرور مئات السنين من رحيلهم.

والسبب بسيط: قد يكون محور الاهتمام، بالإضافة إلى شعر الشاعر، شخص الشاعر، والفصل، أحياناً، يتعذّر بين اهتمام نابع من روعة الشعر واهتمام نابع من شخصية مثيرة.

قلتُ مرة: إن كل شاعر يجب أن يكون من خبراء العلاقات العامة، وقرأت الرأي نفسه لنزار الذي كان أبرز خبراء العلاقات العامة بين الشعراء.

كان نزار حريصاً على أن يظل في دائرة الضوء وقد نجح في البقاء فيها حتى آخر يوم من حياته، والبقاء في الضوء فن لا علاقة له، بالضرورة، بمستوى الشعر.

كان نزار حريصاً على أن يستفز المشاعر بكلمات وتعابير ينتقيها بعناية، واستفزاز المشاعر ليس، بالضرورة، من سمات الشعر الجيد.

---

(١) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٨م).

وكان نزار حريصاً على تلمس عواطف الجماهير العربية والتعبير عنها، والتعبير عن عواطف الجماهير لا ينتج، بالضرورة، شعراً جيداً.

لن يعرف التاريخ مدى جودة شعر نزار إلا بعد عشرات السنين، حين يموت الضجيج. ولن يستطيع التاريخ تقييم شعره التقييم النهائي، إلا بعد مئات السنين.

حتّى ذلك الحين لنا أن نقول باطمئنان: إن نزاراً «ملأ الدنيا وشغل الناس» كما لم يفعل أي شاعر عربي آخر هذا القرن.

هل سيبقى «مالئ الدنيا وشاغل الناس». كصاحبنا القديم المتنبي بعد ألف عام من وفاته؟!

علم هذا عند ربي.

شيء من الخوف

أخاف المنيَّة . . لكنني ∴ أخاف الحياة مع العجز أكثرْ

فكيف أسيغ جمال الورود ∴ إذا احمَرٌّ صار عندي كأصفرْ؟

وكيف أطيق غنَاء الطيورِ ∴ إذا بات سمعي به يتعثّرْ؟

وهل يتبعُ القلبُ خطَوَ الحسان ∴ إذا أصبح القلبُ . . قلباً «مقسطرْ»؟!

شيء من الوداع

لا شيء أسوأ من الاعتذار..

عن حب لم يعد يتنفس

عن قلب لم يعد يخفق بالشوق..

لا شيء أسخف من الكلمات التي تحاول أن تجامل ..

تحاول أن تُغلّف الحقيقة بالسُكّر..

الكلمات!!

الكلمات!!

الكلمات!!

الحقَّ أقول لك..

من الأنبل أن نفترق .. في صمت..

إلى اللقاء!

شيء من الفوتبول

خلال زيارة الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز لبريطانيا وجدتُ نفسي محاطاً بجموع غفيرة من عشّاق الكرة وهواتها وخبرائها

وخبرتي في الكرة تقلُّ عن خبرة نيتنياهو في التسامح وخبرة يوسف الشيراوي في التواضع..

وخلال حفلة «كروية» سألني خبير بريطاني كروي:

- ما رأيك في الهدف الثاني الذي سجّله «الآرسنال» ضد «نيوكاسل»؟

قلت ببطء: ماذا عنه؟

قال: هل هو «أوف سايد»؟

فكرت طويلاً، ثم قلت:

- إنه يبدو كذلك - ولكنه، على التحقيق ، ليس «أوف سايد».

ذهب الرجل سعيداً وأخبر زملاءه أنني أكدت له أن الهدف ليس «أوف سايد»، وبما أنني من الخبراء فلا بد أن الهدف لم يكن «أوف سايد».

ما لم أقله للسائل هو

أنني لم أرَ الهدف الثاني..

ولا الأول..

ولا أعرف الفرق بين «الأوف سايد» و «الرونج سايد»!

انتهتْ علاقتي بكرة القدم نهاية مبكرة مؤسفة عندما طردني أستاذ التربية البدنية من الفريق بعد أن سجلت هدفين وأنا قلب الدفاع..

سجلتها ضد فريقي..

كنت وقتها في الرابعة عشرة..

بعدها انقطعت العلاقات الدبلوماسية بيني وبين الكرة.. ولم تعد حتى الآن.

دبلوماسيات

في التعامل مع الرجال

لا تقل: لا أستطيع حضور حفلك لأن حفلاتك تقتلني مللاً.

وقل: كنت أتطلع إلى الحضور لولا أنني مرتبط غدا مع طبيب الأسنان.

لا تقل: وزنك زاد.

وقل: صحتك تحسنت.

لا تقل: شاب شعرك.

وقل: من أين حصلت على هذا الصبغ الرمادي الجميل؟

لا تقل: سمعت هذه النكتة ألف مرة من قبل.

وقل: هاه! هاه! هاه! هاه! هاه! هاه!

لا تقل: أنا غير موافق على رأيك.

وقل: اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

لا تقل: معلوماتك خطأ من أولها إلى آخرها.

وقل: استقيتُ معلوماتي من مصدر يختلف عن مصدرك.

لا تقل: ما هذه الكرافتة القبيحة؟

وقل: أشهد بالله أن هذه كرافتة فريدة من نوعها.

في التعامل مع النساء

لا تقل: هل أنت متزوجة من زمان؟

وقل: متى بدأت سعادة زواجك.

لا تقل: كم عدد أولادك؟

وقل: أعتقد أن لديك طفلاً صغيراً واحداً. أليس كذلك؟

لا تقل: هل لديك أحفاد؟

وقل: هل تزوجت وأنت في العاشرة؟

لا تقل: هل تجيدين الطبخ؟

وقل: هل تترك لك مشاغلك العظيمة دقيقة للمطبخ؟

لا تقل: عفواً! لا أتذكر اسمك!

وقل: من يراك ينسى كل شيء حتى اسمه.

لا تقل: متى رأيتك آخر مرّة؟

وقل: تظهرين أصغر من آخر مرة رأيتك فيها.

لا تقل: لماذا لم تتزوجي حتى الآن؟

وقل: مشكلة الرجال الرئيسية ضعف النظر.

لا تقل: ما هي هواياتك؟

وقل: من الواضح أن هوايتك هي الرياضة البدنية.

دويسانيات

مر أسبوع كامل ..

سبعة أيام بلياليها..

دون أن يدعوني خالد الدويسان - سفير الكويت النشيط

إلى غداء ..

أو عشاء..

أو فطور ..

أو «قرقيعان» ..

الحق أقول لكم..

أني بدأت أصاب بالقلق!

صاروخ

هذا صاروخ شعري من عبدالرحمن رفيع:

يا فـــلان! وجـــهك مـــا ضـــايقك؟!

وجـــــهك ضـــــايقٌ كل النـاس!!

* * *

أمنيات مستحيلة..

وأقـوال غيـر مأثـورة[1]

أمنيات مستحيلة

* أتمنى ألا يبادرني إنسان نسيت اسمه لأني رأيته آخر مرة قبل ٣٠ سنة بالقول: «من أنا ؟ ما اسمي؟ إذا كنت تذكرني أخبرني ما اسمي؟ كيف تنسى اسمي؟ كيف..».

* أتمنى أن أفتح نشرة إخبارية واحدة، صباحية أو مسائية أو فجرية، فلا أرى صورة رئيس وزراء إسرائيل تتصدر النشرة وتفسد عليّ صباحي أو مسائي أو فجري!

* أتمنى أن يكف المذيعون الخليجيون عن بدء كل سؤال بعبارة: « لو سألناك . . . .»!

* أتمنى لو أخذنا مذيعات الفضائيات اللبنانيات إلى قارة مجهولة لا يعرفنها اسمها «اللغة العربية التي يتحدث بها العرب خارج بيروت»!

* أتمنى لو سألت يوسف الشيراوي عن موضوع ما وقال لي: «لا أعرف!»

* أتمنى أن يُخصّص للثقلاء قسم خاص في كل مكان أسوة بالمدخنين.

---

(١) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٨م).

من أقوالي .. غير المأثورة

* الشعر كلام جديد عن تجربة قديمة.

* الحبّ هو نسيان مؤقت للذات. . وتذكّر مؤقت للآخر.

* الشهرة هي أن تكون يوسف الشيراوي ويسألك السائق إذا كنت عمر الشريف.

* الصداقة هي أن تتمنى لأصدقائك ما تريده لأعدائك.

* السلطة هي أن يضحك الجميع من نكتك التي سمعوها ألف مرة.

* النقد هو تسمية الشتائم بنيوية.

* الزهد هو أن يشغلك الخوف على نفسك في الآخرة عن تعذيب عباد الله في الدنيا.

تلوين الأعذار

قال راجي عفو ربه كاتب هذه السطور:

لا ترسُمي ليَ أعذاراً مُلوّنة
أدري وتدرين أن الحبَّ قد رحلا

الشمسُ كان .. وهل شمسٌ وما غربت؟
والبَدرُ كان . . وهل بدرٌ وما أفلا؟

من ذا يلومك إن سافرت عن رجل
لو أصبح اليأسُ شخصاً .. كان ذا الرجُلا؟

خالد الدويسان . . وسهرة بقرب "أم حديجان"

دعاني سفير الكويت النشيط. إلى حفل عشاء يتعلق بالتنمية والتخطيط. وقال: أبشر بعشاء لذيذ. وكبش حنيذ. وسهرة جميلة. خفيفة ليست ثقيلة. فذهبت بادي الانشراح. أمنّي نفسي بالليالي الملاح. وإذا بالحفل قد بدأ بفيلم طويل. تجاوز الساعة بقليل. قلت: الآن هان الموضوع. وسوف يجيء العشاء بعد هلاكي من الجوع. وإذا بخالد الدويسان. يرحب بالضيفان. ويقدم زميله السير. الذي قال «مساكم الله بالخير!». ثم جاء أربعة خطباء. وهذا كله قبل تقديم الحساء. ثم جاء ستيك مفتخر. الأغلب أنه مصاب بجنون البقر. وبعد العشاء عاد الخطباء من جديد. والكل يبدأ ويعيد.

قلت ما هذا البلاء المقيم؟ وكيف وقعت في هذا المقلب العظيم؟ والتفت فإذا بجارة شمطاء. حية رقطاء. تجاوز عمرها القرنين. بسنة أو سنتين. اتضح أنها مصابة بالصمم. لا تسمع لا ولا نعم. ولم تسمع حديث الخطباء. ولا تفهم نشرة الأنباء. كما اتضح أن نظرها ضعيف. لا تفرّق بين كلنتون وكوزريف. وقد ظنتني توني بلير. ثم حسبتني عمدة ماي فير. واتضح أن أسنانها صناعية. سقطت فوق المهلبية.

وإذا بخالد من بعيد. يضحك على بلائي الشديد. بين الجارة الحيزبون. وخطباء لا يسكتون. وانتهى الحفل الجميل. قبل الفجر بقليل. فأبشر يا خالد الدويسان. طال أو قصر الزمان. أني سأرد لك المعروف. وأجلسك بقرب أرستقراطي حلّوف. لا يسمع ولا يشوف. ويبعبع كالخروف.

مناظر مؤذية

* منظر الذي يصافحك ويده اليسرى في جيبه وكأنه على وشك أن يمنحك بقشيشاً.

* ومنظر الذي يصافحك وهو جالس.

* ومنظر الذي يعزمك على الغداء «بكره» وهو ينوي السفر هذا المساء.

* ومنظر شخص وزنه ١٥٠ كيلو غراماً ويقول لك: «إيش فيك زايد هذه الأيام؟!»

* ومنظر من يدعوك على العشاء ثم يتحدث عن الريجيم.

قالت له .. وقال لها

* لماذا لا تعترف؟

* بماذا؟

* بأنكَ تغيّرت.

* «ومن ذا الذي يا عزُّ لا يتغيّر»

* إذن فأنت تعترف؟

* بماذا ؟

* بأنكَ تغيّرت!

* بطبيعة الحال.

* تعترف أنك تغيّرت؟!

* أعترف.

* دون أن تبالي بشعوري!

* دون أن أبالي!

* كيف تغيّرت؟

* أصبحت أحبك أكثر!

من النثر المنثور

* عندما رأيت زهور «الدافاديل»

في منتصف يناير

أدركت أنك ابتسمت

هذا الصباح

*

قطرة المطر هذه رسالة مني..

وقطرة المطر تلك رسالة منك.

فلتمطر.. ولتمطر..

ولتمطر..

*

عندما يذكرون اسمك..

آدير وجهي ..

فأرى اسمك ..

على كل الجدران

*

لا .. لا أغار منه..

أعرف أنك تحدثينه بلسانك..

وتحدثينني..

بعيونك..

*

يستطيعون أن يكتبوا عنك ألف قصيدة

وحدي أنا .. الذي استطعت ..

أن أقرأ ..

قصائد جمالك

*

سوف أملّ منك ..

عندما يملّ القمر..

مسامرة العشاق

*

سأذهب إلى امرأة جديدة ..

تستغربين؟

أنت امرأة جديدة كل صباح

* * *

عن الكتب .. والكتّاب[1]

إذا عرف السبب!

صدر مؤخراً كتيّب صغير للأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل، يتضمن محاضرة سبق أن ألقاها في بيروت. والكتيّب يحمل عنواناً لا يقلّ في حجمه كثيراً عن حجم المحاضرة: «الخليج العربي مكشوف: تداعيات تفجيرات نووية في شبه القارة الهندية» ومضمون المحاضرة لا يخلو من غرابة. قامت الهند وباكستان بتفجيرات نووية، إذن فالخليج في خطر. لماذا؟! ما العلاقة بين التفجيرات النووية الهندية والباكستانية وأمن الخليج؟ المعنى في بطن الأستاذ الكبير!

ولكن هذا الخطر المزعوم لا يعنيني الآن. تعنيني معلومة عجيبة أوردها على ذمة الأستاذ هيكل:

إن العالم العربي يشهد كل يوم بين ٢٥٠ إلى ٣٠٠ اجتماع، فيها «المؤتمر»، وفيها «الندوة»، وفيها «حلقة النقاش»، وفيها «دائرة الحوار»، وفيها «ورشة العمل»، وفيها جلسة «استثارة العقول».. والتقدير أن تكلفة كل مناسبة من هذه المناسبات حوالي ثلاثة آلاف دولار.. المتوسط يصل بإجماع الحساب إلى مليون دولار يومياً يدفعها العالم العربي لكي يتكلم مع نفسه ..

هل رأيتم، قط، عاقلاً يتحدّث مع نفسه؟! وهل أدركتم، الآن، سرّ

---

(١) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٨).

الجنون في عالمنا العربي السعيد؟!

أستاذ هيكل!

شكرا على هذه المعلومة المفيدة!

وسامحك الله على استنتاجاتك النووية .. غير المفيدة!

كتاب لطيف

كان الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي - رحمه الله- علماً من أعلام هذا القرن في المملكة العربية السعودية. كان شخصية غنيّة، متنوّعة الجوانب. كان قاضياً من القضاة اللامعين. وكان أديباً حافظاً راويةً. وكان يتمتع بحسّ دعابة نادر. لم يسعدني الحظ بلقاء الشيخ البواردي إلا مرة واحدة. وكان اللقاء اليتيم لقاءً تاريخياً. أفاض الشيخ على الحاضرين من أنسه وظرفه وحسن معشره ما جعل الساعات تجري كالدقائق، أو كالثواني. كان اللقاء قبل عقدين من الزمان. والآن، تعود إليَّ صورة الشيخ البواردي من ضباب الأيام عبر كتاب لطيف أصدره الشاب الأديب النشط أحمد بن زيد الدعجاني.

يتضمّن الكتاب نبذة وافية عن حياة الشيخ الجليل وأعماله وآثاره ومداعباته. وسوف أكتفي، في هذه الاستراحة، بالإشارة إلى بعض هذه المداعبات.

كانت معظم وخزات الشيخ مُوجّهة إلى الثقلاء الأغبياء الذين لم يكونوا يعرفون الفرق بين المديح والهجاء. من هؤلاء شخص يدّعي

معرفة الطب. قال الشيخ لهذا الطبيب المزعوم:

ألا أيها الدكتور! ويحك لو تدري
بأنّا نودُّ، اليوم، طبخك في القدرِ
لتذهب مكروبات جسمك كلّها
وتمسي قرير العين.. منشرح الصدرِ

وسُرّ الغبي المتطفل بهذا «الدواء» الذي سيشفيه من مكروباته كلها.

وقال الشيخ الظريف مُرَحِّباً بضيفٍ ثقيلٍ جداً:

يا مرحباً بك .. عدّ ما ينفَس الميتْ
وعداد وسط الليل ما تطلع الشَمسْ
وعداد ما سافر إلى مكة «كُميتْ»
وعداد ما يقلع عن الديك من ضِرسْ

لم يشرح أحد للضيف الثقيل أن الميت لا يتنفس، وأن جبل «كميت» لا يسافر للحج، وأن الديوك لا تزور أطباء الأسنان، وأن الشمس لا تطلع في منتصف الليل. لم يشرح أحد للضيف الثقيل شيئاً من هذا، فاستمتع أيما استمتاع بهذا الترحيب الحار.

رحم الله شيخنا البواردي رحمة واسعة. كان يعرف أن التديّن لا يتناقض مع الرقة والظرف، وأن التبسّط لا يُخلّ بسمت العالم الوقور.

عميريات

صديقنا عثمان العمير ودَّع رئاسة تحرير -الشرق الأوسط- الغرّاء، فأراح واستراح. لا بُدّ أن أقول للتاريخ: إن رئاسته كانت من نوع فريد: الاستشعار عن بعد. كان يحمل «الكومبيتر» في يد، «والموبايل» في يد، ويضرب في الآفاق. يقرّر، وهو في طوكيو، كيف ستظهر الصفحة الأولى. ويأمر، وهو في مراكش، بحذف صورة هذا السفير، أو ذاك (الأغلب هذا السفير!) ويوافق أو لا يوافق، وهو في طائرة تعبر المحيط الهادي، على نشر هذا الموضوع أو ذاك. وهكذا، وإلاّ فلا، تكون اللامركزية!

أثبت عثمان العمير، بالدليل الحيّ، أن كل نظرياتي في الإدارة خطأ في خطأ. أؤمن بالتقيد الدقيق بالمواعيد، ولم يتقيد عثمان، عبر حياته كلّها، بموعد واحد.

أؤمن «بالدوام»، من الساعة الأولى إلى الأخيرة، ولم يداوم عثمان، في حياته كلها، يوماً كاملاً واحداً.

أؤمن بالعلاقات الإنسانية، ولا يؤمن عثمان إلا بالعلاقات مع الذين يستلطفهم (وعددهم محدود جداً). وعلامة الاستلطاف عند عثمان أن يتذكر اسم محدثه، إذا قال لك: «يا مولانا»!، فاعرف، يا مولانا، أن عثمان لا يتذكر اسمك، ولا يود أن يتذكره.

لا بأس! لا أعتقد أني أصلح صحفياً ناجحاً، (أو فاشلاً).

ولم يدَّعِ عثمان أنه يصلح بيروقراطياً ناجحاً (أو فاشلاً).

بعد هذا كله، وهذا كله حق، تبقى كلمة حق لا بد من قولها بعد أن فقد صاحبنا القدرة على حذف صورة هذا السفير أو ذاك... أو قصيدته. ترك عثمان حيث حلّ من الصحافة بصمات لا تمحى. أستطيع القول. بلا مبالغة، أنه كان أول من أدخل عنصر الإثارة الحقيقية في الصحافة السعودية. كان أول من أغرى القارئ بقراءة ما لا يُقرأ، وبفهم ما لا يفهم. هذا الإنجاز يغفر له ما سببه لي من عذاب وأنا أبحث عنه، عبثاً، كل صباح في مكتبه. ويغفر له أنه لم يجئ إلى دعوة من دعواتي إلاّ متأخراً، (هذا إذا جاء!)

يا أبا عفان!

سنفتقدك عندما نقرأ، في الصباح، «خضراء الروابي».

أما في المساء، فأعاننا الله على وجودك معنا (هذا إذا جئت!)

راشديات

سئم عبدالرحمن الراشد وريث العهد البائد في «الشرق الأوسط» هذه القصة لكثرة ما أذكّره بها إلا أنني لا أعتقد أن أحداً غيره وغيري يعرفها. من حق قراء الاستراحة أن يعرفوا أن عبدالرحمن الراشد بدأ مسيرته الصحفية بمقال لاذع في هجاء شخصنا المتواضع.

حدث هذا في منتصف السبعينيات الميلادية. كنت وزير الصناعة والكهرباء، وكان عبدالرحمن طالباً جامعياً في الولايات المتحدة

يراسل - الجزيرة - الغرّاء.

عـاد الطالب في زيارة إلى الرياض، وكـانت أزمـة الكهـرباء في أوجهـا، والتيـار ينقطـع، كل يوم، بانتظام. انفعل الطالب الصحفي الشاب وصرخ: «قرّبا مربط الجزيرة مني»! كتب مقالاً عنيفاً يهاجم فيه «ذلك الرجل» الذي كان يتحدث عن المثاليات، وما أن تربّع على كرسي الوزارة حتى انغمس في الأنانيات. أخذ يمدّ الكهرباء للأغنياء، وينسى الفقراء. ركّز جهده على الأحياء الفاخرة ونسي الأحياء الشعبية.

لم يسمّ عبدالرحمن «ذلك الرجل» باسمه. اختار بدلاً من ذلك أن يدعوه طرفة بن العبد. إلا أن «ذلك الرجل» أدرك بلا عناء المقصود. ارتكب طرفة بن العبد الكثير من الخطايا، ولكنه لم يكن المسؤول عن كهرباء الرياض!

كتبت لعبدالرحمن رسالة طويلة تتجاوز، إن لم تخني الذاكرة، عشر صفحات. ضلّت الرسالة الطريق وتأخرت حتى وصلت إليه، بعد جهد جهيد، حيث يدرس في بلاد العم سام. وجاءني الجواب. ملَك الصحفي الناشئ من الشجاعة ما جعله يعتذر؛ لأنه عرف أن ما نشره عني بعيد كل البعد عن الدقة. ولا يزال الصحفي الناجح يملك الكثير من الشجاعة. ولِمَ لا؟ يتعلم الناس الحلاقة في رؤوس اليتامى وتعلّمها عبدالرحمن في رأس صاحب المعالي (يوم كان في رأس معاليه بعض الشعر!).

موبايلات

أقسم بالله العظيم أني لا أملك جهاز «موبايل»، ومن حلف لكم بالله، فصدقوه. أقول قولي هذا لمأموري السنترالات والمراجعين والأصحاب والمعجبين (لا توجد معجبات بطبيعة الحال!) الذين يصرّون على معرفة رقم «موبايلي». لا يوجد عندي «موبايل». وأمقت «الموبايل» من الأعماق. ولولا معزّة البنت والبنين وآخرين لأضفت: وأمقت كل من يقتني «موبايل».

يُمَثِّل «الموبايل»، في رأيي المتواضع، بداية ثورة اجتماعية مرذولة.. أي والله مرذولة!

وإليكم بعض الدلائل:

* أصبح «الموبايل» دليل وجاهة، يملكه مَنْ يملك نفقاته ومَنْ لا يملكها، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

* أصبح «الموبايل» يعكّر على المصلّين الخاشعين في المساجد طمأنينة صلواتهم، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

* أصبح «الموبايل» يشجع الناس على الحديث أثناء المشي والجري والطعام وقيادة السيارة، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

* أصبح بوسع «الموبايل» أن يقتحم خصوصيات المرء حيثما كان، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

* كـاد «الموبايل» أن يصـبـح بديلاً للتـزاور والتـآلف واللقـاء الشخصي، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

* أصبح «الموبايل» يثير العداوة والبغضاء عندما يتكلم متكلم في مكان خاص أو عام فيقاطعه رنين «الموبايل»، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

* أصبـح «الموبايل» وسيلة تنقل عبرها أمراض جديدة خطيرة إلى الدماغ، وهذه ظاهرة اجتماعية مرذولة.

ملحوظة هامة: أستثني من كل ما سبق جميع الذين تتطلب مِهَنُهم استعمال «الموبايل» مثل الأطباء والطبيبات والمسعفين والمسعفات والمرضين والممرّضات.. وأخريات!

* * *

كتاب من كتب الذعر

طلعت علينا الباحثة الدكتورة فوزية الدريع بمؤلف جديد من مؤلفاتها النفسية/ الجنسية، اسمه «الحب في الأربعين».

بدأت أقرأ فصلاً من فصوله فانتابتني «نفّاضة»، مصحوبة بعرق غزير، واضطراب في دقات القلب، وشيء من الصداع.

اقرأوا معي:

«رجل الأربعين يقف أمام المرآة كما تقف المرأة. وحين يخلو مع نفسه في الحجرة أو الحمّام يتحدّث هو الآخر بأسى مع المرآة،

ويلتصق بها (المرآة لا المرأة) ليرى الخطوط التي بدت تحت عينيه، ويقرص (كذا) شحم بطنه بين أصبعيه ليدرك أنه بدأ يترهل، وهو الآخر تصيبه كآبة فقدان الشباب. إن أبسط مثال (أعاننا الله على أصعب مثال!) يمكن أن نضربه على مدى تأثير الشكل على نفسية الرجل هو الصلع».أ. هـ

نعوذ بالله من غضب الله! خطوط والتصاق بالمرآة وشحم وترهل وصلع وكآبة. هل انتهى مسلسل الرعب؟!

كلا! هناك «الشيب والتجاعيد» و«انعدام الاشتهاء» و«انحدار الصحة».. وأمور أخرى!

من عوفي فليحمد الله!

وأنا أحمد الله كثيراً:

* فأنا لم ألتصق بمرآة في حياتي.

* ولم أنتحب في حمام قط.

* ولم أرَ خطوطاً تحت عيني (بسبب قصر النظر ربما).

* ولم أحاول قرص الشحم بين أصبعين (أحتاج إلى مئة أصبع للقيام بمحاولة كهذه).

* ورحلتي مع الصلع بدأت من العشرينات (من العمر .. لا القرن).

* ولا أحس بأي انعدام أو انحدار.

يا فوزية!

غفر الله لكِ هذه الحملة الصاعقة على رجال الأربعين...

.... وترقبوا القذيفة المقبلة «الحب في الستين»!

البيان والتبيين

في أصناف المحرجين[1]

يبدو أن هناك فئة من مخلوقات الله تخصصت في فن عجيب هو إحراج الآخرين. ويبدو أن حصتي من الارتطام بهذه الفئة تفوق حصة الأسد.. وربما الفيل..

المحرجون يستمدون متعتهم العظمى، وربما الوحيدة، من إحراج الناس. يستمتعون بكل ثانية من الثواني التي يقضيها الضحية وهو في قبضة الحرج. وإليكم التفاصيل:

محرج الذاكرة

وهذا الأخ العزيز يبدأ بسؤالك:

- ما تذكرني؟!

من الواضح لكل ذي عينين - ولمعظم العميان - أنك لم تتذكره، ومع ذلك يمضي محرج الذاكرة متلذذاً بتعذيبك:

- أكيد أنك نسيتني.

وبدلاً من أن تصارحه بأنه لا يوجد أي سبب منطقي أو غير منطقي يجعل من شخصه الكريم شيئاً غير قابل للنسيان تلوذ بما لديك من أدب طارف وتليد وتقول:

(١) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٩م).

- أعوذ بالله! كيف أنساك؟

وهنا يغيب المحرج في نشوة عارمة من السعادة وهو ينظر إليك مباشرة ويقول:

-إذا لم تتسني فقل لي مَنّ أنا!

ويحمر وجهك وتضطرب وتتلعثم، ولا تعرف ماذا تقول؟ ومحرج الذاكرة يبتسم في براءة الأطفال ويردد:

- ما قلت لك؟ نسيتني!

وتبدأ تفكر في إجابة إلا أنه يباغتك:

- سبحان الله! زمان ما له أمان! يتكبر الناس على بعض، وينسون بعض!

محرج المعدة

ترى هذا السيد السند عرضا وأنت تعبر قاعة فندق ما، في طريقك إلى اجتماع ما، فينطلق صوبك كالقضاء المستعجل -كما يقول الأشقاء المصريون- ويصرخ:

- موعد! أعطني موعداً.

لا حول ولا قوة إلا بالله!

ويستطرد محرج المعدة قبل أن تنجح في العثور على مهرب ملائم:

- الليلة! العشاء الليلة!

وتقول أنت بصوت تحاول جاهداً أن تجعله نابضاً بالصدق:

- للأسف عندي ضيوف الليلة.

تدرك بمجرد صدور العبارة أن محرج المعدة سوف يحكم الخناق، ولا يخيب ظنك:

- ضيوف؟ أبَرَك ساعة، هاتهم معك.

بصوت بدأ اليأس يدبُّ إليه تقول:

- أعذرني. ناس لا تعرفهم. ولا تنسجم معهم.

ويتلمظ محرج المعدة بشغف، ويضحك ويقول:

- أتشرف بك وبضيوفك. أصحابك أصحابي. الليلة في المطعم الهندي اللي في «جلوستر رود».

تنظر إلى محرج المعدة وتوشك أن تبكي وأنت تقول:

- شكراً ! شكراً! لا أستطيع. عندي معهم شغل خاص.

تدرك على الفور أنك ارتكبت خطأ قاتلاً. ويرد محرج المعدة:

- شغل خاص؟ الله يهديك! إحنا بيننا أسرار؟ إحنا أخوان.

وقبل أن تقول شيئاً يباغتك:

- وين عازمهم؟

تتقلص ملامحك وأنت تهمس بصوت ترجو ألا يصل إلى سمعه:

- في البيت

تقع في الفخ، ويصرخ محرج المعدة:

- خلاص. الساعة الثامنة أنا عندك في البيت.

ويغمى عليك، وعندما تفيق تجد محرج المعدة يقول للجمع الصغير الذي اجتمع وهو يشير إليك بسرور:

- الرجّال قلت له: باتعشى عندك ومات من الفرح!

محرج التربية البدنية

وهذا البطل ممشوق القوام يطبّ عليك، وأنت تفكر في وضع مترد من أوضاع الأمة العربية، ويسألك دون مقدمات:

- أنت تسوي رياضة؟

يلمح علامات الحرج تتسارع إلى وجهك فتتسارع علامات السعادة إلى وجهه. وتقول أنت:

- أمشي.

تدرك بمجرد خروج الكلمة أنك ابتلعت الطعم ويجيء السؤال أسرع من الرصاصة:

- كم كيلو؟

تحاول أن تجيب على طريقة وزارة الخارجية البريطانية:

- يعتمد .. حسب الظروف.

إلا أن محرج التربية البدنية لا يؤمن بالردود الغامضة ويقول:

- يعني كم كيلو؟ خمسة؟ ستة؟ عشرة؟

تهمس وأنت تقاوم الرغبة العارمة في قتله:

- بين كيلو وكيلوين

تمتزج أمارات الاحتقار بابتسامة النشوة في وجه محرج التربية البدنية وهو يقول:

- ما يكفي! ما يكفي! يبغالك سبعة كيلو أقل شيء. وش رأيك أمر عليك بكرة ونمشي سوا؟

لا تجيب . ويخفف عليك محرج التربية البدنية المسألة:

- كلها ساعتين بس.

يمتقع وجهك ذعراً وتقول دون تفكير:

- آسف! بكرة أنا مسافر الفجر. رايح كندا .

تتسع ابتسامة رائد المشي ويقول:

- فرصة. نروح المطار مشي. أمرّ عليك نص الليل. والفجر إحنا في المطار.

محرج الوزن

قبل النظرة والابتسامة والكلام يصفعك محرج الوزن بالملاحظة العلمية الدقيقة التالية:

- ترى وزنك زايد يا فلان.

وتتلعثم، كعادتك أمام المحرجين وتردد:

- ناوي أعمل ريجيم إن شاء الله.

يتجاهل المحرج وعدك ويمضي قائلاً:

- يبغالك تنقص أربعين كيلو. أقلها.

وترد بالموافقة الفورية أملاً أن ينتهي الحوار الظريف عند هذا الحد. إلا أن محرج الوزن لم يكد يبدأ. ويستأنف:

- ترى فلان مات بالسكتة. وذبحه الكولسترول. كله من زيادة الوزن.

وتهز رأسك موافقاً على أن زيادة الوزن أفتك سلاح في ترسانة عزرائيل. ويسترسل محرج الوزن:

- وفلان تحرول، زاد الوزن على ركبته وتحرول.

وتؤكد أنت أن زيادة الوزن خطر داهم على الركب ووسيلة مضمونة للشلل. ويمضي محرج الوزن:

- والضغط! ترى الضغط ما يجيء إلا من زيادة الوزن.

ويستمر محرج الوزن غير آبه برأسك الذي يهتز بعنف تأييداً لكلامه:

- عليك بريجيم الليمون.

وتوافق مسبقاً على ريجيم الليمون بأمل أن تُعفى من تفاصيله، إلا أن التفاصيل تأتي على أية حال:

- قبل الفطور تعصر أربع ليمونات في ماي حار وتشربه مرة واحدة. والفطور جريب فروت. وقبل الغدا تعصر سبع ليمونات في ماي حار وتشربه.. والغدا جناح حمامة.

لا ينتهي محرج الوزن من وصفته إلا وأنت على وشك أن تضع يديك على رقبته وتضغط.. وتضغط.. حتى تخرج من مسامه كل ليمونة شربها مع الماء الحار في حياته.

محرج التحقيق

وهذا الفضولي المخضرم يهاتفك فلا يجدك وما إن يراك حتى يصرخ متهماً:

- أمس ما كنت في المكتب. وين كنت؟

وتردّ بلا تفكير.

- في المستشفى.

تتهلل ملامح محرج التحقيق حبوراً وهو يقول:

- المستشفى؟ سلامات ! وش فيك؟

وتجيب وأنت تدعو الرحمن الرحيم أن يكتفي الفضولي بالجواب:

- فحوصات.

إلا أن الجواب يفتح شهية محرج التحقيق كما يفتح الليمون شهية محرج الوزن:

- فحوصات؟ خير؟ فحوصات ليش؟

تتذرع بكل ما تملك من دبلوماسية وأنت تقول:

- لا . بسيطة - المصارين.

يرتسم على وجه محرج التحقيق إشفاق مصطنع وهو يقول:

- المصارين؟ عسى ما هو شيء كايد؟

تقاوم الرغبة الشديدة التي تدعوك إلى عضّه وتقول بنبرة تأمل أن تكون قطعية ونهائية:

- لا . التهاب بسيط.

يسر محرج التحقيق باكتشاف التهاب في هذه المنطقة الخطرة من جسمك الذي يحتاج إلى أن يفقد (٤٠ كيلو جراماً .. أقلها).

ولا يخفي المحرج سروره وهو يسألك:

- في القولون؟

تلعن الساعة التي جمعتك بطلعته البهية وترد:

- لا. في الإثني عشر.

يصرخ محرج التحقيق وكأنه تلقى لتوه أسعد نبأ في التاريخ:

- قرحة! معك قرحة!

بغتة تشعر بألم شديد في أمعائك يجعلك تتلوى أمام محرج التحقيق الذي يضحك بفرح غامر:

- قرحة! لا إله إلا الله! أبو راشد نزفت عليه القرحة ومات في العيد!

محرج الأزياء

يبادرك هذا الفتى الأنيق الرشيق الرقيق قائلاً:

- كرافتك مو مربوطة زين.

وتصلح وضع كرافتك وأنت ترقب المتعة تفترش وجه محرج الأزياء الذي يباغتك:

- الكرافتة مو ماشية مع البدلة.

وتهز رأسك موافقاً على طول الخط. ويستطرد محرج الأزياء:

- لو لبست مع البدلة كرافتة زرقاء كان أزين.

وتَعِدُه أنك لن تعود بعد اليوم إلى ارتداء هذه البدلة إلا مع كرافتة زرقاء «نيفي بلو»!

ويترك محرج الأزياء الكرافتة على مضض وينتقل باهتمامه

المشكور صوب منديل الجيب:

- المنديل «ست» مع الكرافتة؟

وتنفي أن يكون المنديل جزءاً من «ست»، معترفاً أن اختيارك له - للمنديل- لا يعدو أن يكون اجتهاداً قابلاً للخطأ. ويقول محرج الأزياء ونشوة النصر تواكب كل حرف من حروفه:

- المنديل مو ماشي مع الكرافتة.

وتؤيد أن التناقض بين المنديل والكرافتة يفوق بمراحل التناقض المخجل بين الكرافتة والبدلة. ويطوّر محرج الأزياء هجومه ببراعة يحسده عليها نسيم حميد:

- والبدلة ضيّقة شوي!

وتعترف أن البدلة ضاقت بما تحمل. وتغادر على عجل حتى لا يكتشف محرج الأزياء مصائب جديدة ولا تكاد تمشي خطوتين حتى يصيح محرج الأزياء:

- انتبه! البنطلون بيطيح ! اربط الحزام زين!

هذا والبدلة ضيّقة شوي!!

محرج الأمكنة

يبادرك هذا الرحالة العظيم بمعلومة أنت أزهد الناس في الحصول عليها:

- توّني جاي من أكابولكو.

وتصمت متوجساً خيفة - ويقول:

- أكابولكو في المكسيك.

وقبل أن تعلّق يباغتك:

- أنت جيت أكابولكو؟

وتنفي أنت أنك حظيت بزيارة أكابولكو. ويعاقبك محرج الأمكنة فوراً:

- عجيب! لازم تشوفها.

وقبل أن تنتهي من وعدك القاطع بزيارتها في أقرب فرصة سانحة ينقض عليك محرج الأمكنة.

- وسياتل؟

وتقول ببراءة الضحايا:

- وماذا عن سياتل؟

- جيت سياتل؟

وتنفي أن تكون جئت سياتل أو جاءتك. ويستغرب محرج الأمكنة:

- عجيب! تروح أمريكا ولا تروح سياتل؟! أمريكا أحلى ما فيها سياتل.

وتَعِدُ محرجَ الأمكنة أن أولويتك القادمة في الحياة سوف تكون زيارة سياتل. وعندما تعتقد أنك تخلصت من امتحان الجغرافيا البغيض ينقض محرج الأمكنة:

-ولا تنسَ أوريجون!

وقبل أن تَعِدَ بشيء يستطرد محرج الأمكنة:

- والله إنك عجيب. ما شفت المكسيك. ولا شفت سياتل. ولا شفت أوريجون. وين تروح في الإجازة؟

وتقول وأنت تنتفض رعباً:

- سويسرا.

يزأر مزعج الأمكنة زئيراً يذكرك بطرزان:

- سويسرا فيها قرية اسمها «لا شونتيه» فيها مطعم عظيم..

تعد بزيارة هذه القرية، إلا أن المحرج ينطلق الآن في محاضرة أخرى:

- وجنبها قرية اسمها «لا فونتيه»

وتتمتم أنت:

- الله لايقبل لا فونتيه.. ولا مَنْ يجيها!

ويسألك محرج الأمكنة:

- اشتقول؟

وترد على الفور:

- «لا فونتيه!» أول محل سأزوره هذا الصيف!

محرج الثقافة

يقدم عليك هذا العالم العلامة الحَبْر الفهَّامة متأبطاً حقيبة بلاستيك من مكتبة «الساقي».. منتفخة بأنواع الكتب، ويبدأ:

- قريت كتاب هيكل. المقالات اليابانية؟

وتقول أنت بخبث:

- هيكل يكتب باليباني؟ ما دريت!

محرج الثقافة - شأنه شأن بقية المحرجين - لا يملك ذرة واحدة من روح الدعابة؛ ولهذا يرد عليك بمحاضرة طويلة عريضة عن سبب تسمية الكتاب المقالات اليابانية.

وبمجرد انتهاء «الوصلة» اليابانية يسألك محرج الثقافة:

- قريت ديوان ألحان الورعان؟

وتسأل أنت:

- من الذي كتبه؟

ويقول محرج الثقافة:

- ضب النفود

وتستغرب الاسم ويهمس محرج الثقافة:

- اسم مستعار. والديوان من نظم امرأة.

وتَعِدُ بقراءة الديوان في أقرب فرصة بينما ينظر إليك محرج الثقافة مستغرباً ويقول:

- وتقول إنك شاعر وما قريت ألحان الورعان؟

وتعترف أن لكل جواد كبوة، وأنك ستسارع إلى سد هذا النقص الفظيع في ثقافتك، إلا أن الامتحان الثقافي لم ينتهِ:

- قريت قاموس الفيتامينات؟

وتعترف أنك قرأت مخزناً كاملاً من القواميس ليس من بينها قاموس الفيتامينات.

ويهجم عليك محرج الثقافة:

- كنت وزير صحة ولا قريت قاموس الفيتامينات؟!

تحاول أنت أن ترد على الهجوم بالهجوم وتقول:

- يا أستاذ! أنت قريت العصفورية؟

ينظر إليك محرج الثقافة بامتعاض ويقول قبل أن يغادر مجلسك المعمور بالجهل:

- العصفورية؟ أنا ما أقرأ عن الطيور.

سيداتي - سادتي:

جعل الله كلامي خفيفاً على قلوبكن. . وقلوبكم . . أما أنتم معشر المحرجين . . فجعل الله كلامي على قلوبكم ثقيلاً جداً . . جداً . . جداً.

الكويت: أيام لا تنسى[1]

معركة الجنس اللطيف داخل مجلس الأمة

في الملتقى الفكري الذي تفضلت بتنظيمه الدكتورة ميمونة الصباح وقفت أخت كريمة وقالت: إنها ألغت سفرها خصيصاً لتسألني عن موقفي من قرار مجلس الأمة بعدم الموافقة على الحقوق النسائية الانتخابية. لا حول ولا قوة إلا بالله! قلت لها: « يا أختي لماذا ألغيت سفرك؟ والحركة بركة»، وكان لا بُدّ من الجواب. وأنا، بطبعي، لا أحب أن أدخل بين الأخ وأخته، والزوج وزوجته،والشريك وشريكه، والشعب وبرلمانه. وفي مصر الشقيقة يقولون: «ما ينوب المخلّص غير تقطيع هدومه» وتفسيرها - يا سادة يا كرام - أنه أحياناً يمر عابر ملقوف، فيجد زوجاً يتشاجر مع زوجته، فيتدخل لإنهاء المشاجرة وهنا تعقد الزوجة المضروبة مع زوجها الضارب حلفاً سريعاً فورياً، وينقضّان على المتدخل بالضرب المشترك حتى تتقطع هدومه. قلت لنفسي «يا رجال! أنت جاي ضيف! ليش تدخل نفسك في هذه الشرباكة؟». واستعنت بخبرة طويلة في النفاق الدبلوماسي والرياء السياسي، وأجبت إجابة غامضة (أرجو أن تكون غامضة)، مثل إجابات «حلاّم عنزة» - ولفائدة الجيل الجديد من القرّاء والقارئات إن كان هذا الجيل يقرأ ما أكتبه- أقول:

---

(١) عن استراحة الخميس المنشورة في الوطن (١٩٩٩م).

إن حلاّم عنزة كان رجلاً عجوزاً حكيماً في قبيلة عنزة - وكان يحلم أحلاماً كل ليلة ويدّعي أنها ستَصْدُق - ولكنه يصوغ أحلامه صياغة مطاطة مثل «الله ياشي بيجيكم شي عظيم!». فإذا أمطرت السماء قال: إن الشيء العظيم الذي تنبّأ به هو المطر، وإذا انتشر وباء قال إن هذا هو الشيء العظيم الذي تنّبأ به. وقريب من قصة «حلاّم عنزة» قصة «بن مطيح» في الأحساء . وله أسلوب في تثمين البضائع لا يختلف عن أسلوب حلاّم عنزة. فإذا جاءه إنسان يطلب رأيه في قيمة بشت مثلاً، أطرق بن مطيح طويلاً ثم قال: «إن قلت يسوي مئة ريال يسوي. وإن قلت يسوي ألف ريال يسوي. وإن قلت إنه ما يسوي ولا ريال ما يسوي» وهكذا استعنت بأسلوب «حلاّم عنزة» وفلسفة «بن مطيح» وأجبت عن سؤال الأخت الكريمة عن موقفي من مجلس الأمة - ولعلّها ندمت على إلغاء السفر وهي تستمع إلى جوابي الخالد: «إن قلت مجلس الأمة مو غلطان في رفضه الحقوق مو غلطان. وإن قلت: إنه غلطان غلطان» - والله أعلم بالصواب.

وفؤاد الهاشم وسؤال ما لو لازم

خلصنا من الأخت الكريمة وسؤالها الذي ألغت السفر من أجله لنقع في براثن صديقنا العزيز رئيس نادي المعجبين برئيس السلطة الفلسطينية فؤاد الهاشم الذي صمت دهراً ثم طلب الكلمة - وقال - سامحه الله! -: إنه تلقى ٣٠٠٠ استفسار من قرّاء وقارئات يستفهمون ويستفسرون عن هوية ليلى الخزيني التي ظهرت في رواية

«شقة الحرية» ثم شُوّهت في المسلسل. حسبي الله عليك يا فؤاد!
٣٠٠٠ تساؤل!! هل في الكويت ٣٠٠٠ شخص قرأوا روايتي؟!

فكرت ثم فكرت ثم أجبته أن ليلى الخزيني من فئة «بدون» - وعندما تحل - بإذن الله - مشكلة البدون فسوف تدخل ليلى الخزيني معهم وتسترد هويتها الحقيقية، وحتى ذلك الحين يا عزيزي فؤاد ركّز على غزلك برئيس السلطة الفلسطينية، واترك عنك السؤال عن هويّات فلانة وفلتانة، واعلم - وفقك الله إلى رزّ لا يسمّن وجريش لا يسبب الكلوسترول - أن الشعراء يقولون ما لا يفعلون، أما الروائيون فهم أخسّ وأخسّ!

* * *

انطفت الكهرباء في ليلة الشعر والشعراء

كنت في السيارة مع الصديق القديم (وهو صديق قديم فعلاً لأني قابلته لأول مرة قبل ٣٠ سنة) الدكتور/ محمد الرميحي في طريقنا إلى الأمسية الشعرية التي دعوت نفسي إلى إقامتها على هامش معرض الكتاب.

وخلال الطريق بدأت تهاجمني هواجس سوداء. قلت «المحل بعيد - ومن سيذهب كل هذا المشوار للاستمتاع بطلعتي البهيّة؟» ثم خطر على بالي أنه مساء الأربعاء - والناس في الكويت يذهبون مساء الأربعاء من العاصمة ولا يعودون إلاّ مساء الجمعة - من الذي سيبقى لسماع أشعاري؟

في هذه الأثناء كان الصديق الرميحي يسأل بعض الزملاء في الموقع بالموبايل «ها إشلون؟» ويستمع قليلاً ثم يقول: «يتوافدون! يتوافدون!». إجابة دبلوماسية شأنها شأن أحلام صاحبنا «حلاّم عنزة» وتثمين صاحبنا «بن مطيح». لم يقل لي عدد المتوافدين ولا سرعة توافدهم.

وفي هذه الأثناء بدأ المطر يهطل بغزارة. توقيت ممتاز! كل الليالي الماضية صحو وليلة الأمسية طوفان منهمر من الماء! نظرت إلى الرميحي الذي يبدو أنه استطاع قراءة أفكاري فقال: «الخيمة قوية ما تخرّ!» خيمة !؟ بعد خيمة؟! تذكرت كلمة صديقي العزيز الدكتور محمد جابر الأنصاري «هذا من توفيق الله في الخذلان» - وكلمة صديقي العزيز يوسف الشيراوي «شا الله غربلنا؟!». مطر. وبرد. ومساء أربعاء. وخيمة. والدكتور الرميحي يواصل الاتصال ويواصل الإجابات الدبلوماسية «يتوافدون! يتوافدون!».

عندما وصلت الخيمة برد قلبي فقد كانت ممتلئة بعشاق الشعر- أما أنا شخصياً فلا عشاق لي بطبيعة الحال - وقال من قال إن عددهم يقارب الألف. وما كدنا نبدأ حتى انطفت الكهرباء. وهاجمتني فكرة سوداء أخرى «الآن سينتهزون فرصة الظلام ويشردون» وساد الصمت إلا من حديث الدكتور أحمد الربعي وهو يحاضر مَن حوله عن الأمسية التي قرر فيها سقراط شُرب السُمّ بعد

أن اتهموه بإفساد عقول النشء في أثينا - والدكتور الرميحي يطمئنني «شوط ! شوط!»

من حسن الحظ أن المطر زاد هطولاً فلم يكن من الواضح هل بقي الجمهور الكريم حُبّاً في الشعر أم هرباً من المطر في الخارج - وأخيراً انتهى الدكتور الربعي من قصة سقراط وانتقل إلى أفلاطون وموقفه المتخلف من المرأة، وهنا أضاءت الكهرباء، وبدأت الأمسية، وشاع الدفء، وقرر الحاضرون الاعتصام حتى الصباح. ورأيت أنها فكرة عظيمة جداً وأن الجمهور العظيم الذي صمد للمطر والظلام والبرد وألغى رحلة «الويك إند» من أجلي يستحق أن أبقى من أجله حتى الصباح. وقبيل أن أعلن موافقتي على الاقتراح هجم عليَّ الدكتور الربعي وهمس في أذني: «يا معوّد! لا تزوّدها عاد! العشا يبرد». وهكذا انتهت الأمسية بتدخل برلماني حال بين الجمهور وبين شاعرهم المفضَّل، وأخذني الدكتور الربعي إلى وليمة حافلة بما لذَّ وطاب من الأكلات الخليجية جعلتني أفكر في الأخ فؤاد الهاشم وأنشد:

آه لو كنت معي نختال عبره

فوق رزٍّ يطفح الهامور إثرهْ

وجريشٍ يتمنى الثغرُ ثَغرهْ

أنا من ضيَّع في الأكلات عُمرهْ..

غــيــر يوم لم يعــد يَذكــر غــيــرهْ

يوم أن أكّلتــــــهُ الـرّز وقِـــــدرهْ

وفي هـذه الأثنـاء كـان الدكتـور الربعي ينشـدنا روائع الملاحم من شعر النبط.

أقول لصديقنا البرلماني النبطي الفيلسوف: «أنعم الله عليك!»

وأقـول أيضاً: «إنك هازم الملذّات. ومفـرّق الأمسيـات. -فـاذهب غفر الله لك - ولا أسقط لك اقتراحاً بقانون».

وقد كان هذا كله مساء أول ديسمبر - التاريخ المحفور في الذاكرة.

* * *

الرولكسات. وساعات أخريات

وبينما كنت أتجوّل في مجمع الصالحية جرّني الابن العزيز فواز القصيبي - وهو ابن أخي فهد وزوج ابنتي يارا- إلى محل بيع ساعات وهو، أي فـواز، من أكـبـر خـبـراء السـاعـات، وخـبـراء السـيـارات والموتوسيكلات ومجموعة من الأشياء الغريبة تشمل الأعمام - جرّني إلى المحل وذهب يتفرج على الساعات ووقف طويلاً عند ساعة معينة وقـال: «عـمي! لماذا لا تشـتـريهـا؟» - قلت لـه: إني مـتـعلق بسـاعـتي الرولكس تعلقاً عاطفياً وتاريخياً طويلاً ولا أستطيع تغييرها.

وفي هذه الأثناء سـمع البـائع الكلام فـمـا كـان منه إلا أن قـال: لا

فُض فوه «في الكويت لا يلبس ساعات الرولكس غير الميكانيكيين».
ضحك فواز، أمّا أنا فقد رمقت البائع بنظرة صفراء (يصعب تلوين النظرات من خلف النظارة الطبية) وقلت له مشيراً إلى الساعة التي أعجبت النسيب الحسيب:

- كم قيمتها؟

وذكر البائع مبلغاً رهيباً جعلني أتلعثم، ثم أقول:

- لا! لا! أنا ما ألبس الساعات الرخيصة!!

ووعدت نفسي إذا قرّرت مؤسسة الكويت للتقدّم العلمي أن تهديني جائزتها بصفة شهرية أن أعود إلى المحل وأشتري الساعة التي أخبرني فوّاز أن اسمها «أدمر بيجي!».. وحتّى ذلك الحين فسوف أعتز بانضمامي إلى فئة الميكانيكيين الرولكسيين..

وهم - بالتأكيد - أفضل من العاطلين بالوراثة .. أو بالعصامية.

وقصيدة في الكاكاوه

أثناء خروجي من الأمسية الشعرية وجدت مجموعة من المعجبات الكريمات في آخر الخيمة وقد تجاوز عمر أصغرهن ٧٥ سنة - وأكبرت فيهن هذه الروح الشابة التي دفعتهن إلى اقتحام الأمطار والظلام للاستماع إليّ، فذهبت أسلم عليهن - وتلطفت واحدة منهن فقدمت لي حبة شيكولاته - قائلة:

- هذه الكاكاوه لك!

كاكاوه؟!

لم أسمع هذه الكلمة من قبل- وقلت:

- تقصدين الشيكولاته؟

قالت:

- شنو شيكولاته؟ هذه كاكاوه!!

استفدت معلومة جديدة وهي أن الشيكولاته تسمى في الكويت الكاكاوه، وكنت حتى لقاء تلك السيدة الطيبة أعتقد أن الكاكاو بودرة تُخلط مع الحليب وتُقّدم للأطفال قبل النوم حتى يناموا نوماً هنيئاً من دون أحلام مزعجة.

قالت زميلة لها أكبر منها قليلاً تخاطبني:

- يا الله! عاد! اكتب لها قصيدة!

ووعدت بكتابة القصيدة..

وقبل النوم «نظمت» هذه «القصيدة»:

يا كاكاوه . . يا كاكاوهْ. .

يا أحلى من أي حلاوهْ

أحلى من أشهى بقلاوهْ

حمّرت القلب على تاوهْ

وأكلــت منــه بـهـداوهْ

أكلَ الجوعان «المهياوةْ».

ونمت تلك الليلة .. فرأيت فيما يرى النائم أني ألبس ساعة «ادمر بيـجي» .. وآكل كـاكـاوهْ . . وأن أحـمـد الربـعي يعـزّيـني في مـوت سقراط.

وفي الختام

للكويت أقول:

نحن لا نلتقي إلا نادراً . .

ولكننا نجتمع كل لحظة . .

في كل فكرة تجمعنا . .

وفي كل ذكرى تربط بيننا . .

وفي كل أمسية من أمسيات الحنين . .

وفي كل يوم من أيام الاغتراب . .

إلى اللقاء أيتها الحسناء . .

ولا تقولي: وداعاً! . .

ولا تظني أنني سوف أنسى

فمن الأشياء ما لا يُنسى . .

أسماء الفرسان الثلاثة[1]

أصبحت هذا الأسبوع جَدّاً للمرة الثالثة عندما رُزق ابني فارس وزوجته فاتن وليدهما البكر.. سلمان.

وشاء فضل الله - وما أعظم فضله سبحانه - أن أشهد احتفالين في أسبوع واحد: إطلالة الحفيد سلمان .. ووصول الحفيد فهد إلى عامه السادس. .

أما الحفيد غازي فقد «ضاع في الطوشة» . . فلا هو أطل لتوه، ولا هو - في الثالثة والنصف - وصل إلى ذكرى ميلاده. .

أوّاه! كيف مرت السنوات؟ أصبح فهد في السادسة . . وكأنه وُلِدَ البارحة . . لا أزال أذكر يارا تحمله بين ذراعيها . . طفلتي تحمل طفلها وزوجها فواز يقف بجانبها . . والقصيدة تولد:

«أقول لفهد حين طالعني فهدُ

أتجعلني جَدّاً؟ فداء لك الجد!»

أقول بعتاب مليء بالمحبة:

«أتجعلني جَدّاً»؟!

وأتذكر يوم ولادة الفارس الثاني غازي . . كانت لتسميته قصة طريفة .. أرويها . . للعظة . . وللعبرة ..

---

(١) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٩م).

تعرف ابنتي وأولادي تمام المعرفة أني أكره أن أُسَمِّي وليداً باسم قريب راحل (أو مقيم!) . . مهما كان القريب عزيزاً . . وغالياً . .

رزقني الله ولدين بعد وفاة سيدي الوالد - رحمة الله عليه - ورفضت أن أسمي أياً منهما عبدالرحمن..

لماذا؟

لا أريد أن يكون هناك سوى عبد الرحمن واحد!..

أبي .. وسيدي .. وصديقي .. وحبيبي ..

ولا أريد أن يثير الاسم الشجن . .

أن يسمع الناس اسم الوليد فيتذكروا الفقيد ..

والأهم من هذا كله أني لا أحب أن ينمو إنسان في ظل إنسان آخر..

ولا أود أن تكون هناك مقارنة . .

وقد قلت في مكان آخر أن كل المقارنات قاتلة . . بمعنى أو بآخر. لا أود أن يقول أحد لعبدالرحمن الصغير:

- لماذا لا تكون مثل عبدالرحمن الكبير؟!

. . وهيهات!

.. هيهات!

«إن الزمان بمثله لبخيل» . .

من هذه المنطلقات الفلسفية، الغريبة على تقاليدنا بعض الشيء، حذّرت ابنتي وأولادي من تسمية أحد باسمي.. في حياتي .. أو بعد رحيلي ..

قلت: إني في حياتي سوف أرفض بشدة ..

بعد رحيلي سوف يجيء شبحي لإرهاب الذين خالفوا «التوجيه»!!

إلا أن يارا وفواز كان لهما رأي آخر..

سميا وليدهما البكر فهد . . تيمّنا بجدّه . . أخي فهد.. ولم تكن هناك أي مشكلة . . سرٌّ فهد الكبير باسم فهد الصغير . .

كانت المشكلة مع الوليد الثاني ..

ومعي ..

كان فواز ويارا يعرفان تمام المعرفة موقفي من تسمية أي حفيد باسمي. .

ومع ذلك قرّرا تسمية الوليد القادم باسمي . .

وأحكما الخطة ..

وتكتكا بدهاء لم أعهده في أي منهما . . واستعانا على قضاء أمرهما بالكتمان المطلق .. وبعلم النفس .. وبشيء من المكر غير قليل ..

جاءت يارا (وبراءة الأطفال في عينيها) تطلب مني أن أختار اسماً للوليد المقبل الذي لم يولد بعد وإن كانت المعدات الطبية الحديثة قد بيّنت أنه ذكر ..

وغصتُ في أعماق «معجم السلطان قابوس للأسماء العربية» . .

وهنا لابد أن أتوقف لأوجه تحية شكر وتقدير إلى جلالة السلطان قابوس على تبنّيه هذا العمل الموسوعي العظيم..

ولأنصح كل قارئ وقارئة باقتنائه.

حصلت على اسم بعد اسم .. وكنت أقدم ليارا وفواز قائمة يومية . .

يومية!!

تصوروا !!

ويجيء فواز (وبراءة الأطفال في عينيه) ويقول:

- عمّي ! هل من الممكن أن تبحث لنا عن أسماء جديدة؟!

يا غافل لك الله!

أعود إلى أعماق الذاكرة وأعماق المعجم وأعماق الدواوين مصطحباً معي أسماء جديدة في قوائم جديدة..

وتجيء يارا:

- بابا! هل من الممكن أن نزعجك من جديد؟ لم تعجبنا الأسماء .. نريد أسماء أخرى . .

أعود إلى الغوص من جديد...

حتى أصبت بالصداع. .

وبالزغللة..

وبعد شهر كامل من التنقيب والاستشعار عن قرب وعن بعد أعلنت الإضراب .. وعندها قال فواز ويارا بصوت واحد:

- سيف !

قلت:

- ماذا ؟

قالا:

- قررنا أن نسمي الوليد «سيف» . .

واعترتني حالة من الوجوم الشديد..

سيف ! !

قالت يارا:

- ألا يعجبك اسم سيف؟

قلت:

- اسم عربي جميل ..

واستمر الوجوم..

قال فواز:

- ألا يعجبك اسم سيف؟

قلت:

- شخصيتي الأسطورية المفضلة هي «سيف بن ذي يزن»..

وكتمت غيظي .. و«بوّزت».. أو على حد تعبير يوسف الشيراوي «برطمت». . ولم أقل شيئاً ..

ما دام هناك قرار قد اتخذ باسم سيف فلماذا قضيت شهراً كاملاً أنقّب عن الاسم كما تنقب الشركات متعددة الجنسيات عن البترول؟!

سيف .. سيف!

«ولدكم .. وسموه»..

ما دخلي أنا؟

أنا مجرد جَدٍّ تطوع للمساعدة. .

وكان «سيف» جزءاً لا يتجزأ من الخطة الماكرة..

حان حين الولادة ..

وكالعادة .. أصابتني حالة من العصبية الكاملة الشاملة ..

ذهبت إلى المكتب ..

وكدت أشرب الحبر..

وأكتب بالشاي..

وغادرت المكتب إلى المستشفى وهناك أصيب كل من حولي بعدوى العصبية..

حتى الأطباء والممرضات!

وقالت زوجتي بدبلوماسيتها النادرة:

- لماذا لا تتركنا بسلام وتذهب إلى المنزل؟ سنخبرك بمجرد الولادة..

وذهبت إلى المنزل ..

وأخذت أروح وأجيء..

كالدجاجة الشهيرة التي توشك أن تبيض..

ورن التليفون..

وجاء صوت فواز:

- عمّي!

- خير؟

- أبشرك كل شيء يسير على ما يرام..

- هل تمت الولادة؟

- عن قريب! عن قريب! ولكن كل شيء بخير ..

مكالمة عجيبة بعض الشيء!

وبعد دقائق جاءت المكالمة الثانية. وكان فواز على الخط الآخر يطمئنني أن كل شيء بخير.. وأن الولادة سوف تتم في أي دقيقة..

مكالمة عجيبة بعض الشيء!

وجاءت المكالمة الثالثة بالأخبار نفسها:

- كل شيء على ما يرام .. والولادة في أي لحظة.

لماذا يطمئنني فواز كل خمس دقائق إذا لم يكن هناك ما يوجب القلق؟!

وانتابني ما يشبه الانهيار العصبي ..

كان كل هذا جزءًا من الخطة الماكرة..

وجاءت المكالمة الرابعة من فواز:

-عمّي!

- خير؟!

- هناك رجاء حار من يارا .. ومني ..

- هل ولَدَتْ يارا؟

- هناك رجاء حار من يارا .. ومني ..

-خير ؟!

- نريد منك شيئاً..

- هلَ ولدَتْ يارا؟

- نريد منك شيئاً..

- حاضر! حاضر ! هل ولدت يارا؟

- على وشك! على وشك! ولكنها ترجوك بحرارة ..

- حاضر! حاضر! هل ولدت يارا؟

- على وشك! على وشك! ماذا عن الرجاء؟

- أي رجاء؟!

- نرجوك رجاءً خاصاً!

- هل وَلَدت يارا؟

- على وشك! على وشك! ماذا عن الرجاء؟

- أي رجاء؟

- نودّ تسمية المولود غازي.

نقلت للقراء والقارئات المكالمة بنصّها ليتبينوا الحالة النفسية التي كنت فيها..

قلت:

- سموه «ثعلباً» أو «خنفسانة» أو «وزغة» .. المهم أن تلد بالسلامة.

قال فواز الذي لم تعجبه الأسماء الثلاثة:

- نريد أن نسميه غازي. هل يمكن أن نسميه غازي؟

قلت: - سمّوه غازي ... أو حتّى سيف !!

لم تتضح لي الخطة الماكرة بكل تفاصيلها إلا بعد أن كلمني فواز

بعدها بثلاث دقائق (فقط) وقال:

- عمي! مبروك وُلد غازي ..

قلت:

- الحمد لله على السلامة .. ماذا قلت عن غازي؟!

وكان فواز قد أقفل السماعة..

هل رأيتم .. أيها القرّاء والقارئات - أخبث من فواز .. وزوجته..

وهذا الاستغلال البشع لحالة الجد النفسية المنهارة؟!

.. غازي .. غازي!

« ولدكم .. وسموه!»

وكان ذنبهم على جنبهم..

وجاء غازي شقياً ..

مشاغباً..

يوجّه معظم شقاوته وشغبه إلى «سَمِيِّه» . -.

قال لي ونحن في السيارة ذات يوم:

- جدُّو! أنت «دبة» ..!

قلت:

- صدقت.. ولكن إياك أن تسمعك ماما..

ذات يوم .. قال لي فهد:

- جدو! أنت «فات»!

وعاقبته يارا .. بدون وجه حق..

«فات» .. ونص!

«دبة».. . ونص!

ولكننا نلقّن الأطفال الصغار الرياء.. والنفاق .. والمجاملة .. والكذب .. وغازي الصغير لم يتعلم بعد..

وراقه الاسم الجديد:

- جدُّو! أنت «دبة» !

قلت له بمنطق الأطفال

- أنا غازي وأنا «دبة» .. وأنت غازي وسوف تصبح «دبة» عندما تكبر ..!

وصمت غازي يفكر في هذا المستقبل المرعب الذي لم يخطر بباله من قبل !!.

ما علينا..

حديثنا الآن عن الأسماء..

يوم كانت زوجتي حاملاً بفارس لم تكن المعدات الطبية تستطيع أن تتوقع جنس الجنين..

كنا مستعدين بأسماء ذكور وأسماء إناث..

قلت:

- إذا جاء ولد فسوف نسميه فراس..

وقالت زوجتي:

- لا.. نسميه فارس

- فراس.. فارس

- فارس .. فراس

استمر السجال شهوراً..

ثم أطل الوليد .. مع مطلع الفجر..

قالت زوجتي:

- غيرت رأيي.. فلنسمه فراس.

قلت - وأنا أشهد المرأة التي خرجت لتوها من أعظم المعارك إيلاماً وأعظمها سعادة:

- لا! لا سوف نسميه فارس.

قالت زوجتي:

- فراس!

وسميناه فارس..

فيما بعد .. قال لي فارس إنه يفضّل اسم فارس على اسم فراس.. مراراً.. الحمد لله!

لا شيء يزعج الطفل أكثر من اسم لا يحبه..

ولا الرجل!

ودارت دورة الأيام.. والأعوام..

وكبر فارس .. وتزوج..

وجاء دوره .. وأثبتت المعدات الطبية أن الوليد القادم ذكر..

هذه المرة كنت مستعداً..

أعلنت أني لا أعرف أي أسماء..

ولن أبحث في أعماق الذاكرة..

ولن أنقّب في القواميس...

وقلت:

-ولدكم أنتم .. وسموه أنتم.

قال فارس:

- فؤاد

(ولا أدري هل لهذا الاختيار علاقة بفؤاد الطارف أحد أبطال «شقة الحرية» - لم أسأل أنا ولم يتطوع فارس بإخباري).

وقالت زوجته فاتن:

- سلمان

ووقفت على الحياد الإيجابي (الذي يذكره المخضرمون من القراء)..

وكرر التاريخ نفسه.

بعد الولادة قالت فاتن:

- غيَرتُ رأيي .. سوف نسميه فؤاد..

وقال فارس:

- لا. غيرتُ رأيي .. سوف نسميه سلمان.

ما أشبه الليلة بالبارحة!

قلت:

- القرعة!

ووافق فارس .. ووافقت فاتن..

وأحضرت ورقتين..

كتبت على واحدة «ف»..

وكتبت على الأخرى «س»

وطلبت من فاتن أن تسحب واحدة.

وفتحناها ..

«س»

سلمان!

حفظ الله الفرسان الثلاثة..

فهد .. وغازي .. وسلمان..

والحمد لله .. القائل في محكم كتابه:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾.

آمنا بالله..

والحمد لله حمداً كثيراً..

من قبل.. ومن بعد..

في باريس ..

كانت لنا أيام(1)

الشيل والحط في أكل البطّ!

لا بُدّ أن بين الفرنسيين والبط ثأراً تاريخياً لا يقارن بثأرهم التاريخي مع الألمان والإنجليز (يبدو أن للفرنسيين ثأراً تاريخياً مع كل من «وما» لا يتكلم الفرنسية، والبط حسب علمي لا يتقنون هذه اللغة). المهم أن فرنسا تجري يومياً عملية إبادة عرقية للبط. كل مطعم، صغيراً كان أو كبيراً، غالياً أو رخيصاً، في حيّ أرستقراطي أو في حي شعبي، يقدم عشرة أنواع من البط على الأقل (غير الخَرّدة).

ولا أدري لماذا تثور ثائرة الشمطاء الشقراء بارجيت باردو على المسلمين الذين يذبحون الخراف في عيد الأضحى. ولا تثور ثائرتها على الاستئصال المنهجي للبط.

المهم أن أم البنت والبنين تحبُّ البط (بعد أن تعلّمت اللغة الفرنسية) وتحبُّ «السوس» المقدم مع البط. وكاتب هذه السطور يرى أن أكل البط أكثر من مرة في سنة عذاب لا مُبرّر له. وكاتب هذه السطور يحب الأكلات البدائية كالكبسة والمحمّر وهامبورجرات ماكدونالد والبطاطس المقلية مع الكتشب والسباجتي (ومن يعتقد أن إنساناً يسمن دون سبب فقد أخطأ). وكاتب هذه السطور لا يكره

---

(1) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٩م).

شيئاً كراهيته «للسوس» التي تأتـي مكوّنة من ألف مادة ومادة، جميعها مجهولة ومعظمها مضرّة بالصحة العامة.

وخـلال تجـربة اليـونسكو أكلت مـن البطّ مـا يجـعلـني يومـيـاً أهـم بالطيـران والبـطبطة (هذه كلمـة من اختـراعي تعـني كـلام البط). وفي باريس، حتى عندما لا تطلب بطّاً يأتيك الجرسون بشيء «فوق البيعة» من المطبخ تكتـشـف أنه عـضـو في البطـة لم يكن يخطـر ببـالك أنه صـالح للاستهلاك البـشري. وكاتب هذه السطور - مـادح نفسـه الذي يقرئكم السلام- يحاول أن يكون زوجاً مثـالياً ومن هنا فهو يتجلّد وهو يأكل البط، إرضـاء لأم البنت والبنين تجلّد شـاعـرنا القـديم للشـامتين يريهم أنه لريب الدهر لا يتضعضعُ.

ومن منـطلق المودّة الزوجـيـة المثـاليـة دعـوت أم البنت والبـنين إلى مطعم شهير بتقديم البط (لا أود ذكـر اسمه حتى لا أفقد رأسـي تحت مقصلة الجيلوتين). ذهبنا إلى المطعم الشهير وجاء الجرسـون وأمرنا أن نطلب بطة واحـدة نقتسمها. وأنا لا أخـاف من أحد بعد خوفي من أم البنت والبـنين كمـا أخاف من جـرسـونات فـرنسـا. وافـقت أم البنت والبنـين على «اقـتـراح» الجـرسـون، وإذا وافـقت هي فـأنا أوافق على طول الخط.

بعد نصف سـاعة جاء جزّاران طويلان عـريضـان هجمـا على بطة مسكينة وأجريا عليها عملية جراحية دقيقـة ببراعة يحسدهمـا عليها صديقنا السـيـر مـجدي يعـقـوب. ثم جـاء جرسـونان بطبـقين وضعـا

واحداً أمام ضيفة الشرف وواحداً أمام المضيف، الزوج المثالي. وكان على كل طبق قبة فضيّة هائلة تزري بقبة تاج محل. نزعت القبة الفضية، وتأملت في طبقي فوجدت سائلاً بنياً لزجاً يطفو على عجايب وغرايب (كما يقول صديقنا يوسف الشيراوي عندما يصف أصدقاءه). قلت لأم البنت والبنين بذعر حاولت جهدي إخفاءه:

- ما هذا؟

أفادتني «أفادها الله»:

- هذه بطة.

- أعرف أن هذه بطة. أسأل عن هذا السائل اللزج البني المخنز

- آه! هذا «سوس» يُقدّم مع البط.

وإذا كان شكل «السوس» مرعباً، فطعمه - أجاركم الله! - أكثر من مرعب. كنت أفكر في طريقة دبلوماسية تمكنني من تجاهل هذا السائل الجهنمي عندما طبّ علينا مدير المطعم، وهو رجل أشيب وقور .. تحسبه، لأول وهلة، فيلد مارشال (وربما كان كذلك في السابق). اهتبلت (وهذه تعني انتهزت ولا علاقة لها بالهبل) الفرصة وأبعدت الطبق قليلاً وسألت الفيلد مارشال عن تاريخ المطعم. انطلق الرجل يحكي تاريخاً دموياً فاجعاً لا يختلف عن تاريخ قلعة العم دراكيولا. كان المطعم يوماً ما بالفعل قلعة يسجن فيها الناس ويُعذَّبون ويُعدمون. ثم هدمه الثوّار أثناء الثورة الفرنسية (يمدّونها والله الثوار

الذين هدموا هذا المكان !). ثم أعيد بناؤه من جديد (لاحول ولا قوة إلا بالله).

في هذه الأثناء عاد الجرسونان يغيّران الأطباق، ولاحظ الجرسون المكلف بإرعابي أني لم ألمس محتويات طبقي. منحني تلك النظرة القذرة التي يحاول جميع جرسونات العالم -بلا جدوى- أن يتعلموها من جرسونات فرنسا. وصرخ:

- ألم يعجبك؟

أصابتني رعدة خفيفة خاصة وقد لاحظت بطرف عيني قدوم الجزارين مرة أخرى بسكاكين طويلة لامعة، وتمتمت:

- حساسية!

انهمك الجزارون مرة أخرى في العملية الجراحية، وجاء الجرسونان بطبقين جديدين يحملان أجزاء جديدة من البطة القتيلة.

قلت لأم البنت والبنين:

- ألا تنتهي هذه البطة؟ ألم نأكلها قبل قليل؟!

قالت - ولا ينبيك مثل خبير-:

- ما جاء من قبل كان الجلد والجناحين. وهذه بقية البطة.

في هذه الأثناء عاد الفيلد مارشال ووضع أمامي بطاقة «بوست كارد» تحمل صورة المطعم (مستعد لإرسالها إلى أي قارئ كريم يهوى

تعـذيب الذات). وعلى ظهـر البطاقـة جـملة تقـول «البطـة التي تأكلهـا الآن رقمها ١١,٩٥٠٠,١».

قلت لضيفة الشرف وأنا أرتعد مرة أخرى:

- هذا المكان ذبح قرابة مليوني بطة. هذه ساحة حرب لا مطعم. هذه أم المذابح.

قالت بالواقعية النسوية الشهيرة:

- حدث هذا عبر ١٥٠ سنة.

نظرت إلى أجزاء البطة، وتصورت أرواح مليوني بطة ترفرف فوق رأسي، وفوقهـا ترفـرف أرواح الأبرياء الذين أعدمـوا في هـذا المكان التعيس، وفوقها ترفرف أرواح الثوار الذين هدموا هذا المكان التعيس، وأصبت، لأول مرة في حياتي، بانعدام شهية كامل شامل.

في هذه الأثناء عاد الجرسون ولاحظ أني لم ألمس طبقي فمنحني النظرة إياها، وقال:

- لم تعجبك؟!

قلت:

-فظيع! تحياتي للطباخ.

قلت لأم البنت والبنين متوسلاً:

- هل بالإمكان أن أطلب «كتشب»؟

قالت مذعورة:

- «كـتـشـب»؟! هـل تظن نفـسـك في «مـاكـدونالـد»؟! إذا طلبت «كتشب» فسوف يطردوننا فوراً.

في هذه الأثناء عاد الجزاران بالسكاكين اللامعة، ولما كانت البطة المسكينة قد قُطّعت، فقد أيقنت أنهما قَدِما لإجراء العملية الجراحية الدقيقة عليَّ.

قلت لأم البنت والبنين:

- أشعر بمغص مفاجئ (وهذا لا يدخل في باب الكذب بل في باب الدفاع عن النفس).

قالت أم البنت والبنين:

- اصبر! هذه بطة لذيذة ولا أود تركها.

بعد لأي وعناء أنهت ضيفة الشرف ما على طبقها، وعرضتُ عليها بشهامة لم تعهدها من قبل فيّ أن أعطيها ما في طبقي ولكنها اعتذرت.

جاء الفيلد مارشال يتبعه الجرسونات يتبعهما الجزاران ولم يكن هناك أدنى شك أنني على وشك المثول أمام محكمة عسكرية بتهمة عدم أكل البطّة رقم ١١,٠٠٥٩,١. قفزت موشكاً على الهرب. إلا أن ضيفة الشرف ذكرتني بلباقة:

- لم تدفع الحساب!

دفعت الحساب، وخرجت وفرائصي ترتعد، وقضيت ليلة مليئة بالكوابيس رأيت نفسي فيها وقد تحولت إلى بطة بشرية تمزّقها سكاكين الجزارين وتحمل رقم ١٢ر٩٥٠٠ر١.

في الصباح، أعلنت، لأول مرة في حياتي الزوجية، التمرّد والعصيان وقلت لأم البنت والبنين:

- لا بطّ بعد اليوم! لا بطّ بعد اليوم! لا بطّ بعد اليوم!

وابتسمت هي ولم تقل شيئاً.

الحَمَام: سلمنا من القوم - طحنا في السرّية!

على أثر تمردي، قرّرت أم البنت والبنين مجاملتي منطلقةً من شعورها الصادق بأنه لا ينبغي للمرء أن يدخل معركة مع الأخ ماتسورا، والخال سراج الدين، ومع البط في الوقت نفسه، قرّرت، مشكورة، أن تقلع مؤقتاً عن أكل البط.

عندها اكتشفت أن للفرنسيين ثأراً تاريخياً مع الحَمَام لا يقل في ضراوته عن ثأرهم التاريخي مع البط. اكتشفت، ويا لهول ما اكتشفت، أن الأشياء الأخرى الموجودة في كل «مانيو» غير البط، هي حَمَام من نوع أو آخر.

وأنا، من حيث المبدأ، لا أتحفَّظ على الحمام، خاصة إذا كان من فئة الزغاليل البلدي وجاء محشوّا بالفريك، وهذه أكلة لا يتقنها غير أشقائنا المصريين. مشكلتي مع حمام فرنسا أنه يقدم على هيئة

شرائح رقيقة لا تكاد تُرى (العملية الجراحية نفسها) وهذه الشرائح تطفو فوق سوائل مختلفة تذكرك بلوحات بيكاسو في مرحلته البنفسجية. قلت:

- يا أم البنت والبنين! هذي مو حالة (وهذا التعبير بدوره من تعابير العم يوسف الشيراوي الشهيرة). إما بطّ وإما حمام! أين الخرفان والتيوس والعجول وسمك الكنعد والهامور والزبيدي؟! قولي يا أم البنت والبنين! إلى متى أتعرض للمهانة والمذلة على يد جرسونات باريس الذين يزجرونني زجراً ويدعونني دعّاً ويتركون على طبقي أشياء لا نعرفها نحن ولا أنتم؟! يا أم البنت والبنين! ارحمي هواني على الجرسونات وانظري الجرامات التي فقدتها من وزني ودعينا في فندقنا هذا نطلب هامبورجر وسباجتي ونحاول الحصول على شيء من الرز «البسمتي» أو حتى الرز «الهورة».

طنّشت أم البنت والبنين! ولكن يا لعدالة السماء!! كنا يوم الأحد في مطعم فاخر - ليس له تاريخ دموي حسب علمي ولا يسجّل أرقام ضحاياه في بطاقة «بوست كارد»- عندما جاء الجرسون متألقاً كأنه الصدر الأعظم أيام زمان. قالت له أم البنت والبنين:

- أودّ أن أبدأ بسلطة خضراء.

رغم أن أم البنت والبنين قالتها بلغة فرنسية صحيحة (حسب علمي المحدود) وبلكنة لا تكاد تظهر، إلا أن الصدر الأعظم تجاهل

الجملة وأخذ «يقترح» عليها شيئاً آخر تبدأ به.

أم البنت والبنين -عادة- امرأة طيبة مسالمة، لا تحب العناد ولا المشاكل، إلا أنها هذه المرة قرّرت إعلان التمرد والعصيان. قالت للجرسون المهيب (مع الاعتذار للمهيب إياه):

- أريد سلطة خضراء!!

هنا اندفع الجرسون المهيب في محاضرة تتخلّلها إشارات باليد وحركات بالأرجل، وبدأ يحمرّ، وتنتفخ أوداجه، حتى أصبحنا «فرجة» للناس.

وكانت خلاصة المحاضرة أنه إذا كانت ضيفة الشرف تودّ سلطة خضراء فكان المفروض أن تذهب إلى «بقالة الخضار» وتأكل خسّ حتى تشبع أما في هذا المكان المشهور بالبط والحمام فلا يجوز طلب سلطة خضراء.

من بعيد كان جزّاران يرقبان المشهد باهتمام متزايد والسكاكين تبرق في الأيدي.

الكثرة تغلب الشجاعة!! أكلت أم البنت والبنين ما أمر الجرسون بأكله - وعندما عدنا إلى الفندق قلت:

- اللهم شماتة!! وألف شماتة!!

قضينا بقية الوقت في باريس نعيش على الهمبورجر والسباجتي وكثير من «الكتشب».

تعظيم سلام. لحامل الوسام !

ذات يوم، ذهبت في معية الملك خالد -رحمه الله- إلى فرنسا، ضمن وفد رسمي، وفي نهاية الزيارة تلقيت، وباقي أعضاء الوفد، وساماً من الرئيس ديستانج.

بعدها بسنتين زارنا الرئيس ميتران في المملكة زيارة رسمية وأمرني الملك فهد بمرافقته. بعد انتهاء الزيارة، طلب السفير الفرنسي في المملكة موعداً، وجاء يتأبط خيراً، وساماً من الرئيس ميتران. معلومات كاتب هذه السطور في الأوسمة وطبقاتها لا تختلف كثيراً عن معلوماته في أصناف «السوس» الفرنسي. قلت للسفير:

- أشكر فخامة الرئيس على عطفه. وبالمناسبة، سبق أن منحني الرئيس ديستانج وساماً. كيف أتعامل مع وسامين من دولة واحدة؟

قال السفير:

- الوسام الأول كان وسام «ميرت» -الاستحقاق باللغة العربية، والله أعلم- أما هذا الوسام فهو أكبر الأوسمة الفرنسية «لاجون دي نور» وسام الشرف الشهير الأشهر.

أضاف السفير:

-المرء في فرنسا والدول الفرانكوفونية يحتفل احتفالاً باذخاً إذا حظي بوسام «لاجون دي نور».

شكرت السفير بحرارة، وقبل خروجه قال:

- هناك ميزة إضافية. عندما تدخل مطعماً في باريس وأنت ترتدي هذا الوسام يحتفي بك «الميترودوتيل» ويأخذك إلى أحسن طاولة.

ماذا يفعل الإنسان بالأوسمة في الرياض؟ ظل الوسامان حبيسين في مكان ما لا تعرفه إلا أم البنت والبنين حتى جاءت حملة اليونسكو وطلبت منها أن تحضر الأوسمة الفرنسية وبالذات «وسام الشرف» . بعد اتصالات هاتفية عبر عواصم أوروبية وعربية عديدة تم العثور على الوسامين.

ذات يوم خرجت وأنا أحمل في ياقة المعطف «وسام الشرف» - بألوانه الثلاثة.

قال أبو أحمد - زياد الغريّض الذي أعتقدُ أنه مدير مكتبي، ويعتقد هو أني مدير مكتبه -مستغرباً:

- ما هذا الشيء؟!

قلت:

- هذا الشيء وسام الشرف.

وأضفت:

- وسوف ترى الليلة كيف يعاملوننا في مطعم الفندق.

في المساء ذهبنا إلى المطعم الذي نقابل فيه -عادة- بشيء من الاحترام، بمقاييس جرسونات فرنسا على أي حال، ورغم الحجز، ورغم الوسام ظللنا «ملطوعين» قرب الباب.

قال أبو أحمد شامتاً:

- لم ينفع الوسام!

قلت:

- إشعرّف الثور أني عنتر؟!

في صبيحة اليوم التالي، زارني صديق فرنسي لاحظ الوسام على الفور، وبدأ يعاملني كما لو كنت نابليون بونابرت. قال الصديق:

- هذا وسام الشرف!

قلت:

-نعم!

قال:

- له ميزة إضافية.

قلت:

- أعرف! أي جرسون يراك ترتديه يأخذك إلى أفضل طاولة.

قال:

- صحيح. وهناك ميزة إضافية أخرى.

قلت:

- خير؟

قال:

- أي عسكري يراك ترتديه يقف ويضرب لك تعظيم سلام.

الحق إني أخاف من عساكر فرنسا خوفاً لا يعادله سوى خوفي من جرسوناتها. تعودت في لندن على العسكري الأعزل المبتسم. في عاصمة النور حتى شرطي المرور مدجج بمختلف أنواع الأسلحة الفتاكة، والعصي والكلبشات، حتى أن المرء ليشعر أن ثورة جديدة هبت في العاصمة وأن كل شرطي استنفر للدفاع عن «الأليزيه» ضد الغوغاء الثائرين حتى آخر رصاصة.

عادة نذهب على متن «اليوروستار» بين لندن وباريس بلا مشاكل. صحيح أنني أصاب بالرعب المعتاد أمام موظف الجوازات. وهو مدجج بالسلاح بدوره، إلا أن العملية تنتهي في أغلب الأحوال بعد دقيقتين من تفحص الجواز ودقيقتين من تفحص محياي الوسيم. بعد خروج الصديق، قلت لأبي أحمد:

- تعظيم سلام! سوف أضع الوسام غداً عند سفرنا وسوف ترى كيف يهب العساكر والضباط من رتبة مشير فما دون، ويقفون «زنهار» ويسلِّمون.

أبو أحمد الذي يتقن اللهجة اللبنانية حيث إنه قضى طفولته السعيدة في مدارس داخلية فخمة في بيروت، ولا يعرف اللهجة المصرية وخصوصاً الكلمات «الغلجة» قال:

- وما «الزنهار»؟

قلت:

- سوف ترى بنفسك في محطة القطار.

ذهبنا إلى المحطة والوسام العتيد على معطفي وقد استبعدت في آخر لحظة فكرة حمل يافطة باللغة الفرنسية تقول «وخّر عن الدرب! هنا وسام شرف!».

وقفنا أمام موظف الجوازات المدجج بأسلحة الدمار الشامل. أعتقد أنه بمجرد أن رأى الوسام أيقن أنني سرقته من كونت باريسي - وإلا فكيف يُعطى وسام الشرف لإنسان لا يتكلم الفرنسية؟! استغرق البحث في الجواز عشر دقائق، والتأمل في ملامحي عشر دقائق، والبحث في القوائم السوداء والصفراء والزرقاء عشر دقائق، ولم يفرج عنّا الموظف إلا قبيل رحيل القطار.

أخذ القطار ينهب الأرض (وهذا تعبير غريب فمنذ كنت في الابتدائية والسيارات والقطارات والدراجات تنهب الدرب ولا يزال الدرب على حاله) وحولنا تمتد الحقول والغابات الفرنسية الخضراء، الخالية من البط والحمام.

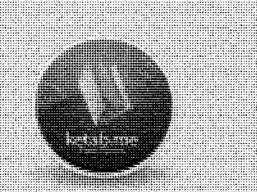
قال أبو أحمد بخبث:

- لم تقل لي ما هو «الزنهار»!

اقتلعت الوسام من مكانه الوثير على المعطف وأدخلته الحقيبة، وقلت لأبي أحمد:

- اللي ما يعرف الصقر يشويه!

المحتويات




الكتاب ترويحٌ عن الناس كما قال المؤلف. وما أحوجنا للراحة في زمن كثرت همومه.

إنه مجموعة مقالات متنوعة يُغريك كلُّ واحد منها بقراءة أخيه، ويشدُّك كلُّ موضوع لما بعده. ولئن كان الكلام كما قالت العرب: صلفٌ تيّاه لا يستجيب لكل إنسان، ولا يصحبُ كُلَّ لسان. إلا أن المؤلف رزقه الله الملَكة البيانية التي جعلت القول يستجيبُ لإرادته، وجعلت اللسان يُطاوعُ رغبته.

إنه كتابٌ ممتع حريٌّ بالقراءة جديرٌ بالتأمل.

الناشر

